رسائل البلغاء

القسم الاول

وفيه ما عرف لعبدالله بن
وعبدالحميد بن يحيى الكاتب
من الرسائل والنتف والحكم

« نشرت في مجلة المقتبس تباعاً »

« وحقوق الطبع محفوظة لها »

طبعت بمطبعة الظاهر امام محكمة الاستئناف بالقاهرة
سنة ١٣٢٦ هجرية وسنة ١٩٠٨ افرنكية

رسائل البلغاء

القسم الاول

وفيه ما عرف لعبدالله بن
وعبدالحميد بن يحيى الكاتب
من الرسائل والتتف والحكم

« نشرت في مجلة المقتبس تباعاً »

« وحقوق الطبع محفوظة لها »

طبعت بمطبعة الظاهر امام محكمة الاستئناف بالقاهرة
سنة ١٣٢٦ هجرية وسنة ١٩٠٨ افرنكية

فهرس الرسائل

صفحة

١ الادب الصغير لابن المقفع
١٩ الدرة اليتيمة لابن المقفع
٤٣ يتيمة ثانية لابن المقفع
٤٧ حكم لابن المقفع
٤٩ رسالة ابن المقفع في الصحابة
٥٩ تحميد لابن المقفع
٦٠ رسائل مختصرة في السلامة والتعزية والشكر وطلب الحوائج لابن المقفع
٦٣ رسالة ابن المقفع الى يحيى بن زياد ابتداء في المؤاخاة
٦٤ جواب من يحيى بن زياد في صفة الاخاء
٦٦ رسالة عبدالحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد وتعبية الجيش
٨٩ رسالة عبدالحميد في الشطرنج
٩١ رسائل في مطالب مختلفة لعبدالحميد وفيها بعض تحميدات
٩٧ رسالة عبدالحميد الى الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«كلمات الناشر»

خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من اهل القرون الاولى . وقد وقع الاجماع على ان عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن وان اسلوبهما احسن اساليب في احكام ملكة البيان .

كانت حكم ابن المقفع اول ما كتب لي الوقوف عليه من رسائل هذين الامامين عثرت عليها في قسم الجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ فنشرتها في مجلة المقتبس ثم نشر فيه استاذي العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائري كتاب الادب الصغير لابن المقفع ايضاً ظفر به في مجموع عند احد اعيان بعلبك من بلاد الشام

ووفقت على الاثر في كتاب المنثور والمنظوم لاحمد بن ابي طاهر طيفور المحفوظ في قسم علم الادب بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) المنقول عن نسخة محفوظة في احدى مكاتب المدينة الى العثور على رسالة لابن المقفع في الصحابة ولعلها رسالته المشهورة في السياسة وعلى رسالة له سماها اليتيمة وعلى رسالة لعبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد وتعبية الجيش الى غير ذلك من الرسائل البديعة التي اوردها صاحب المنثور والمنظوم لهذين الكاتبين فنشرتها كلها واضفت اليها الدرة اليتيمة لابن المقفع ورسالة عبد الحميد الى الكتاب وما أثر لهذا من رسائل صغيرة قليلة

ولغلبة التحريف على كتاب المنثور والمنظوم اضطررت مرة الى حذف جمل برمتها والاشارة اليها او ابقيتها على علاتها واشرت اليها بعلامة استفهام اذا كان يُفهم مع التحريف حاصل المعنى الا ان الغلط وقع في الاكثر في رسالة الصحابة وولي العهد واليتيمة

كنت اود لو قُيض لي الرجوع الى الاصل الذي نُقلت عنه نسخة المنثور والمنظوم لاعارض عليها ما انشره اليوم في هذا المجموع عساني اسقط فيها على ما فات الناسخ الثاني ولعل ما تعذر عليّ اثبات صحته من عبارات ذينك الصدرين المقدمين يتيسر لغيري من الباحثين العارفين فيرشدوني الى اصل آخر او يهتدون الى وجه الصواب في هذا الكلام الطيب .

واني لارجو ان تكون هذه الاوراق خير مثال يحتذيه المتأدبون في كتابتهم وان يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتم بعض الاحكام على الحضارة العربية وان يستخدمها الدعاة لاصلاح الاخلاق خير ذريعة يعالجون بها ادواء النفوس فيكون منها عموم النفع كلما كررتها السن الانام وكرت عليها الاعوام والايام

القاهرة في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ وفي ٢٩ مايو سنة ١٩٠٨

محمد كرد علي منشيء المقتبس

عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى

نقلاً عن المقتبس

نشأ للعربية في اوائل القرن الثاني للهجرة كاتبان بليغان يصح ان يدعيا واضعي اساس الانشاء العربي وناهجي طريقة الكتابة المرسلة فكانا منارًا يُهتدى به الى يوم الناس هذا ونعني بهما عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى الكاتب. ظهر هذان الامامان واللغة في نضرتها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة اعظم مساعد لهما على النبوغ وزادت شهرتهما الاتصالهما بالخلفاء والامراء ومرانهما على الكتابة في الاغراض الكثيرة التي كانت تُطلب اليهما فيخوضان عبابها مجليين مبرّزين

نشأ ابن المقفع في العراق على ما ينشأ عليه ابناء اليسار وكان والده يتحل نحلة مجوس الفرس وَلِي خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفي في الدولة الأُموية. ولقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده اي تشنجت لمدها لاخذ الاموال على ما يقال. وربي ابنه عبدالله تربية اسلامية واولع بالعلم وهو مكفي المؤونة فجاء منه في سن العشرين ما يندر ان يكون مثله لابناء الاربعين والخمسين. واتصل بعيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الاولين من بني العباس وكتب له واختص به واراد ان يدين بالاسلام فجاء الى عيسى ابن علي وقال له: قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك. فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر. ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى: اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال: اكره ان ابيت على غير دين. فلما اصبح اسلم على يده فسمي بعبدالله وكني بابي محمد.

اهم كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كليلة ودمنة الذي نقله عن الفارسية ورسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان. قال القفطي وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور وترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلثة وهي كتاب قاطيغورياس وكتاب باري ارمينياس (او بارميناس) وكتاب انالوطيقا وذكر انه ترجم ايساغوجي تأليف فرفوريوس الصوري. والارجح انه نقل هذه الكتب عن الفارسية او نقلها له ناقل عن اليونانية وصاغها هو في قالب عربي فنسبت له اذ لم يثبت انه كان يعرف غير الفارسية من اللغات. وعبارة ابن ابي أُصيبعة في تاريخ الاطباء تشبه قول القفطي في تراجم الحكماء والغالب انهما نقلا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتيهما.

قال ابن النديم: واسمه بالفارسية روزبه وهو عبدالله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه

اباعمرو فلما اسلم اكتنى بابي محمد والمقفع ابن المبارك انما تقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان ضرباً مبرّحاً فتقفعت يده واصله من خوز مدينة من كوَر فارس وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي على كرمان وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذي عمل شرط عبدالله ابن علي على المنصور وتصعب في احتياطه فيه فاحفظ ذلك اباجعفر فلما قتله سفيان بن معاوية حرقاً بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطلب بثاره وطلّ دمه وكان احد النقلة من اللسان الفارسي الى العربي مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب خداينامه في السير كتاب آيين نامه في الاصر كتاب كليلة ودمنة كتاب مزدك كتاب التاج في سيرة انوشروان كتاب الآداب الكبير ويعرف بناقراحسيس كتاب الادب الصغير كتاب اليتيمة في الرسائل .

وقال ان ابا الجاموس ثور بن يزيد أعرابي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال : بلغاء الناس عشرة عبدالله بن المقفع . عمارة بن حمزة . حجر بن محمد . محمد بن حجر . انس بن ابي شيخ . وعليه اعتمد احمد بن يوسف الكاتب . سالم . مسعدة الهرير . عبدالجبار بن غدي . احمد بن يوسف . وذكره في الشعراء الكتاب فقال انه مقلّ وقال: وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره وقال في الكتب المصنفة في الاسماء والخرافات ان عبدالله بن المقفع من جملة من كان يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم .

والراجح ان الحسد غلت مراجله في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان فنسبوا اليه ما نسبوا من الزندقة لقصورهم عن بلوغ شأوه او لغرض في انفسهم قال ابن خلكان نقلاً عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يُتهمون في دينهم قال بعضهم : كيف نسي الجاحظ نفسه . قلنا وعبارة الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط فانه قال:

فصلٌ ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى ابا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جواداً فارساً جميلاً وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لاقليلا ولا كثيرا وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من اين غُر المغتر ووثق الواثق واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خاص المتكلمين ومن النظارين

فاعتبر ذلك بان تنظر في آخر رسالته الثانية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى الذ
ردي، المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين ،
العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لايحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعا احد اشياعها الى ان يصدر عليه ه
الحكم الغريب ولكن الملاحظ ايضاً على ثبوت تدينه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وا
مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها ،
معظم الاحوال ابرياء والا فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل
وليست الزندقة بحثاً عما يضمره الانسان في نفسه لان مثل هذا لايطلع عليه الا الله تعالى
ويكفي ان يقال هلاّ شققت عن قلبه . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليه
الاحكام ويسوء ان يقال عن فلان انه زنديق امور تقوم عليها بينات ظاهرة من اقوال
وافعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله .

ولو كان ثمّ سبيل لما ينسب اليه لاسيما مع غضب المنصور عليه لكان الاقرب ان
يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث
ينتقم منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة في قتله جهاراً بهذه التهمة . اما
اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فتتصرف على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نظن القاضي
عياض والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهما قالا انه اناب .

التهمة بالزندقة امر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي كان
اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفه في
الرد على اولئك الذين نسبوا اليه ما نسبوا فان فيه الغناء واغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (١)
ابن حبان البستي امام المحدثين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة
واستحصال الامر بقتله لو لم ينج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال

ومعارضة القرآن اكثر ما تنسب للزنادقة المشهورين بالادب والفضل يشيع ذلك اناس
يقصدون اهلاك عدوهم بأي وسيلة كانت او اناس هم اقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها
حتى ان أبا العلاء المعري على اضطراب الاقوال في نهاية امره مع ما علم به من احواله
قد عُزي اليه كتاب كان معروفاً في بلاد المغرب يسمى بالفصول والغايات ولا يتوقف من
كان قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير ممن
يميلون الى ابي العلاء المعري من اهل المغرب يعجبون مما وقع فيه من سخافة القول الذي يحط

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بست

عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب سر الفصاحة وكلامه في رسالة الغفران ينادي بخلاف ذلك (٢)

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لا تثبت بوجه من الوجوه التي تعقل في اثباتها واذا نظرنا الى ما يتعلق بالغيب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعاً في معرفة ما ينطوون عليه سواء لانه لم يذهب احد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد عن الشارع في شخص معين اثبات الايمان او لوازمه لرجل بعينه .

وتهمة الزندقة الشنعاء كثيراً ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة امثال ابن رشد والفارابي وابن الصائغ وابن سينا . ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة في رد افتراء من افترى عليه ذلك . ومن هنا تظهر لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن الزندقة قد اوجب من المفاسد ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ وربما كان عصر المأمون اقرب الى قلة الزندقة في الحقيقة من العصور التي كثر اتهام معظم المفكرين بها وغيرهم ممن يراد الانتقام منهم .

عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذاك الباب . قال المرتضى في اماليه روى ابن شبة قال : حدثني من سمع ابن المقفع وقد مرّ ببيت مار لمجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي اتعزّل حذر العدى وبك الفؤاد موكل
اني لامنحك الصدود واني قسماً اليك مع الصدود لاميل

وقال صاحب الاغاني نقلاً عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ ابن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن ابي بردة وابن المقفع و يونس بن ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن

(٢) قال المعري في رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندي الزنديق الذي صنف في الرد على القرآن : بئس ما نسب الى راوند فهل قدح في دباوند انما هتك قميصه وابان للناظر خميصه واجمع ملحد ومهتد وناكب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولقي عدوه بالأرجاز ما حُذي على مثال ولا اشبه غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا تاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الارب وجاء كالشمس اللائحة نوراً للمسرة والبائحة لو فهمه المضب الراكد لتصدع او الوعول المعتمة لراق الغادرة والصدع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في الفصيح كما يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألىء في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق فتبارك الله احسن الخالقين

الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن النيض وجميل بن محفوظ وبشار المرعث وابن اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلهم متهم في دينه . قلنا واجتماع المتشاكلين قديم في الناس والغالب انهم يتحرجون من ادخال من ليس على شاكلتهم في زمرتهم فيتهمون بما هم منه براء كما اتهم جماعة ابي حيان التوحيدي الذي نقل بعض مجالسهم الفلسفية في مقابساته وكانوا من اهل النحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم والفلسفة كما جمعت بين ابن المقفع واصحابه جامعة الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على شراب واتهموهم بالمروق . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ ذكر اناس كانوا شديدي التصافي والالتحام مع شدة التباين في المذاهب

اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد اجمع مترجموه على انه كان بسبب كتابته اماناً لعبدالله ابن علي قال فيه : ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبدالله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حلّ من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جداً وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله فقتله . وكان سفيان هذا شديد الحنق عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه ويستخف به حتى عزم على ان يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سراً في داره ويقال انه عاش ستاً وثلاثين سنة . وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور واحضراه اليه مقيداً وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور : انا انظر في هذا الامر . ثم قال لهم : ارأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم أأقتلكم بسفيان . فرجعوا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور

ولابن المقفع شعر قليل ولكنه جيد نقل له صاحب الحماسة ثلاثة ابيات . يقال انه رثى بها يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رثى بها ابن ابي العوجا وهي

رزئنا اباعمرو ولا حيّ مثله ... فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ... ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
لقد جر نفعاً فقدنا لك انما ... أمنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير — فتأمل .

ومما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغاني وغيره قال حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيدالله قال حدثني احمد قال سمعت جدي ابا محمد يقول : كنت القى الخليل ابن احمد فيقول لي احب ان يجمع بيني وبين عبدالله بن المقفع فجمعت بينهما فمر لنا

احسن مجلس واكثره علماً ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له: يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك قال: ما رئيت من علم وادب الا اني رأيت عقله اكثر من علمه. ثم لقيت ابن المقفع فقلت له: كيف رأيت صاحبك قال: ما رئيت من علم وادب الا ان عقله اكثر من علمه. وقال المرتضى ان من جمعهما كان عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام وليالي اليمن.

قال الاصمعي: قيل لابن المقفع من ادبك فقال: نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتيته وان رأيت قبيحاً ابيته. ودعاه عيسى بن علي للغداء فقال: اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلاً قال: ولم؟ قال: لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار. ومن كلامه: شربت من الخطب رياً ولم اضبط لها رويا فناضت ثم فاضت فلا شي نظاما وليس غيرها كلاما.

ومما يؤثر عنه وهو ما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب: اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر. وقال لآخر: عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة. وقيل له ما البلاغة فقال: التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها.

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن قوهة انه قال: لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط. سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت. ومنها ما يكون في الاستماع. ومنها ما يكون في الاشارة. ومنها ما يكون في الحديث. ومنها ما يكون في الاحتجاج. ومنها ما يكون جواباً. ومنها ما يكون ابتداء. ومنها ما يكون شعراً. ومنها ما يكون سجعاً وخطباً. ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة.

فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير إملال. قال: وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته. كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواكب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك. والى المعمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت.

قال فقيل له: فان ملّ المستمع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف قال: اذا اعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيهما شيء واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شيء لا ينال وقد كان يقال رضاء الناس شيء لا ينال

وقال عبد العظيم بن أبي الاصبع في تحرير التحبير في البديع في باب التهذيب والتأديب : قد كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بتة الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام وانفق من غير قصد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام علي عليه السلام ومن اقتفى اثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وابي عثمان الجاحظ وغيرهؤلاء من الفصحاء والبلغاء .

وقال الامين المحبي فيما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه : يتيمة ابن المقفع — يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها وهي رسالة في نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الادب وقد ذكرها ابو تمام واجراها مثلا في قوله للحسن ابن وهب

ولقد شهدتك والكلام لآلئ تؤم فبكر في الكلام وثيب
فكأن قساً في عكاظ يخطب وكأن ليلى الأخيلية تندب
وكثير عزّة يوم بين ينسب وابن المقفع في اليتيمة يسهب

وقال جلال الدين في المزهر نقلاً عن ابي الطيب عبد الواحد اللغوي في مراتب النحويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل بن احمد ولا اجمع ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع

وقال المعري في عبث الوليد : كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل وبعض وروى الاصمعي انه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً الا في موضع واحد وهو قوله : العلم اكبر من ان يحاط بكله فخذوا البعض

وروي ان بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : الفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاء وخصل بيانه كفاء . وسمع ابو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كأن بيانه لؤلؤ منثور وروض ممطور . وقال جعفر بن يحيى : عبد الحميد اصل وسهل بن هارون زرع وابن المقفع ثمر واحمد بن يوسف زهر .

وعبد الحميد هذا هو الذي يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان احمد بن يوسف يقول في رسائل عبد الحميد الفاظ محككة وتجارب محنكة . قال صاحب الوفيات وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماماً وهو من اهل الشام وكان اولاً معلم صبية ينتقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار الف ورقة

وقال ابن نباتة : انه البالغ الى اعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في اول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان الجعدي قبل ان يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع

اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد اصحابه الا عبدالحميد فقال له مروان : لم لا سجدت فقال : ولم اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال : اذاً تطير معي قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته .

وهو اول من اخذ التحميدات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على مااقتضاه الحال . فمن الايجاز ان بعض عمال مروان اهدى اليه عبداً اسود فأمره بالاجابة ذاماً مختصراً فكتب : « لو وجدت لوناً شراً من السواد وعدداً اقل من الواحد لاهديته » . واما الاسهاب فانه لما ظهر ابومسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستميله ويضمنه مالو قرىء لاوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه وامر بنار فاحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف اسطار البلاغة والتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتدّ الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبدالحميد : القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم واظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي فقال عبدالحميد

أسر وفاءً ثم اظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين ان الذي امرتني به انفع الامرين اليك واقبحهما بي ولكنني اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبدالحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : ايكما عبدالحميد فقال كل واحد منهما : انا خوفاً على صاحبه . الى ان عُرف عبدالحميد فاخذ وسلمه السفاح الى عبدالجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طشتاً ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وقيل انه قتل مع مروان في مصر قال المسعودي انه رأى له عقباً بفسطاط مصر يعرفون ببني مهاجر وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون . وكان ابوجعفر المنصور يقول : غلبنا بنو أمية بثلاثة اشياء بالحجاج وعبدالحميد والمؤذن البعلبكي . وقيل لعبدالحميد : ما الذي مكنك من البلاغة قال : حفظ كلام الاصلع يعني امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . وقيل له ايما احب اليك اخوك ام صديقك قال : انما احب اخي اذا كان صديقي : وقال اكرموا الكتاب فان الله تعالى اجرى الارزاق على ايديهم . وقال : القلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظه فلاً ومعناه بكراً

قال صاحب وفيات الاعيان وكان كثيراً ما ينشد :

اذا خرج الكتاب كانت دُويهم قسيًّا واقلام الدوي لها نبلا

ومما نقله عنه انه ساير يوماً مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه فقال له مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال : ياامير المؤمنين ان من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها فقال له : فكيف سيرها فقال : هملها امامها وسوطها عنانها وما ضربت قط الا ظالماً

ولعبد الحميد كصديقه وضريعه عبدالله بن المقفع شعر نادر فمنه

كفى حزنًا اني ارى من احبه قريبًا ولا غير العيون تترجم

فاقسم لو ابصرتنا حين نلتقي ونحن سكوت خلتنا نتكلم

هذا ما وصلنا من اخبار هذين الامامين ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما انبتناها هنا ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلامهما احسن مترجم عنهما اذ كلام المرء قطعة من عقله .

الادب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الاستاذ العلامة الكبير الشيخ طاهر الجزائري

ونشر في مجلة المقتبس اولا

توطئة للناشر

من اعظم ما تدعو الحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الامم عليه وهو فن ذو افنان تحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها . ومع قلة ما انتشر من كتبه في جلها من عدم التنقيح وانسجام العبارات ما يصد كثيراً من الطالبين عن الاقبال عليها . ومن ثم كثر بحثنا عن كتب تفي بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها لتكون الفائدة مزدوجة وهو اقصى آمال الذين يسعون في احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه في عهدها الاول . ولما ذهبت الى مدينة بعلبك سنة ١٣٢٣ رأيت عند بعض الافاضل الواردين عليها مجموعاً استعاره من بعض اعيانها فرأيت فيه الفسالة المنشودة وهي رسالة الادب الصغير لعبدالله بن المقفع الكاتب الذي يضرب ببلاغته المثل فكتبتها بخطي في نحو يوم وارجو ان ييسر لنشرها من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق .

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور : (١) كتاب عجائب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كراسات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع الاحكام (٢) ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف الصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد اوله « الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد استفتك بالمجموع الذي التمسته في نسب النبي عليه السلام وبنيه وبناته واعمامه وعماته وجمل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك » وهو اثنتا عشرة ورقة وفي آخره: وكتب في رجب سنة عشرين واربعمائة (٣) رسالة الى احمد بن ابي دوّاد في فضل العلم وهي ٣ اوراق وفي آخرها: وكتب في شهر ربيع الاول سنة عشرين واربعمائة (٤) ويتلوها كتاب الادب الصغير الذي نقلناه وهو في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ (٥) ويتلوه كتاب ذخائر الحكمة تأليف ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف احمد بن مسكويه وهو في اكثر من كراس .

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً والله وقت للامور اقدارها وهيأ الى الغايات سبلها وسبب الحاجات ببلاغها فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد . والسبيل الى درك ذلك العقل الصحيح . وامارة صحة العقل اختيار الامور بالبصر وتنفيذ البصر بالعزم . وللعقول مجبيات وغرائز بها تقبل الادب وبالادب تنمي العقول وتزكو فكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر على ان تخلع يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الارض بزهرتها ونضرتها وريعها وغائبها الا بمعونة الماء الذي يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها اذى اليبس والموت ويحدث لها باذن الله القوة والحياة فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها من القلب لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الادب الذي هو نماؤها وحياتها ولقاحها . وجل الادب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من انواع اسمائه الا وهو مروي معلم مأخوذ عن امام سابق من كلام او كتاب وذلك دليل على ان الناس لم يبتدعوا اصولها ولم يأتهم علمها الا من قبل العليم الحكيم . فاذ خرج الناس من ان يكون لهم عمل اصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون ان احدهم وان احسن وابلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وعموداً واكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسناً فسمي بذلك صائغاً رفيقاً — وكصاغة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية — وكالنحل وجدت ثمرات اخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجبن به اعجاب المخترع المبتدع فانه انما اجتباه كما وصفنا .

ومن اخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه فلا يرين عليه في ذلك ضئولة فانه من أعين على حفظ قول المصيبين وهدي للاقتداء بالصالحين ووفق للاخذ عن الحكماء فلا عليه ان لا يزداد فقد بلغ الغاية وليس بناقصه في رأيه ولا بغائضه من حقه ان لا يكون هو استحدث ذلك وسبق اليه وانما حياة العقل الذي يتم به ويستحكم خصال ست : الايثار بالمحبة . والمبالغة في الطلب . والثبت في الاختيار . والاعتقاد للخير . وحسن الوعي . والتعهد لما اختير واعتقد . ووضع ذلك موضعه قولاً وعملاً .

اما المحبة فانما يبلغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من امر الدنيا والآخرة حين يؤثر محبته فلا يكون شيء امراً ولا احلى عنده منه . واما الطلب فان الناس لا يغنيهم حبهم ما

يحبون وهواهم ما يهوون عن طلبه وابتغائه ولا يدرك لم بغيتهم نفاستها في انفسهم دون الجد والعمل . واما التثبت والتخير فان الطالب لا ينفع الا معه وبد فكم من طالب رشد وجده والغي معا فاصطفى منهما الذي منه هرب والغى الذي اليه سعى . فاذا كان الطالب يجري غير ما يريد وهو لا يشك بالظفر فما احقه بشدة التبين وحسن الانتقاء . واما اعتقاد الشيء بعد استبانته فهو ما يطلب من احراز الفضل بعد معرفته . واما الحفظ والتعهد فهو تمام الدرك لان الانسان موكل به النسيان والغفلة فلا بد له اذا اجتبى صواب قول او فعل من ان يحفظه عليه ذهنه لا وان حاجته . واما البصر بالموضع فانا تصير المنافع كلها الى وضع الاشياء مواضعها وبنا الى هذا كله حاجة شديدة فاننا لم نوضع في الدنيا موضع غنا وخفض ولكن موضع فاقة وكد ولسنا الى ما يمسك ارماقنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى ما يثبت عقولنا من الادب الذي به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام باسرع في نبات الجسد من غذاء الادب في نبات العقل . ولسنا بالكد في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضر والعيلة باحق منا بالكد في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين والدنيا .

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس الخفوظ حروفا فيها عون على تلاوة القلوب وصقالها وتجلية ابصارها واحياء للتفكير واقامة للتدبير ودليل على محامد الامور ومكارم الاخلاق ان شاء الله .

الواصفون اكثر من العارفين . والعارفون اكثر من الفاعلين . فلينظر امرؤ اين يضع نفسه فان لكل امرىء لم تدخل عليه آفة نصيبا من اللب يعيش به لا يجب ان له بد من الدنيا ثمنا . وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب ان يسمى في ذوي الالباب ولا ان يوصف بصفاتهم . فمن رام ان يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف اهلا فليأخذ له عتاده وليعد له طول ايامه وليؤثره على اهوائه فانه قد رام امرا جسيما لا يصلح على الغفلة ولا يدرك بالعجزة ولا يصير على الاثرة وليس كسائر امور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك منها المتواني ما يفوت المثابر ويصيب منها العاجز ما يخطىء الحازم

وليعلم ان على العاقل امورا اذا ضيعها حكم عليه عقله بمقارنة الجهال . فعلى العاقل ان يعلم ان الناس مشتركون مستوون في الحب لما يوافق والبغض لما يؤذي وان هذه منزلة اتفق عليها الخلق والاكياس ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال من جماع الصواب وجماع الخطإ وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة والعجزة

الباب الاول من ذلك

ان العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم ان احق ذلك بالطلب ان كان مما يجب

احقه بالانقاء ان كان مما يكره اطواله وادومه وابقاه فاذا هو قد ابصر فضل الآخرة على الدنيا وفضل سرور المروءة على لذة الهوى وفضل الرأي الجامع العام الذي تصلح به الانفس والاعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلاً ثم يضمحل وفضل الاكلات على الاكلة والساعات على الساعة

والباب الثاني هو ان ينظر فيما يؤثر من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه فلا يجعل انقاءه لغير المخوف ولا رجاءه في غير المدرك فيترك عاجل اللذات طلبا لآجلها ويحتمل قريب الاذى توقيا لبعيده فاذا صار الى العاقبة بدا له ان فراره كان تورطا وان طلبه كان تنكبا .

والباب الثالث من ذلك هو تنفيذ البصر بالعزم بعد المعرفة بفضل الذي هو ادوم وبعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف فان طالب الفضل بغير بصر تائه حيران ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانة محروم . وعلى العاقل محاسبة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والابانة لها والتنكيل بها .

اما المحاسبة فمحاسبتها بما لها فانه لا مال لها الا ايامها المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة وما جعل منها في الباطل لم يرجع الى الحق فينتبه لهذه المحاسبة عند الحول اذا حال والشهر اذا انقضى واليوم اذا ولى فينظر فيما افنى من ذلك وما اكتسب لنفسه فيه وما اكتسب عليها في امر الدين وامر الدنيا فيجمع ذلك في كتاب فيه احصاء وجد وتذكير وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن

واما الخصومة فان من طباع النفس الامارة بالسوء ان تدعي المعاذير فيما مضى والامانيّ فيما بقي فيردُّ عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها

واما القضاء فانه يحكم فيما ارادت من ذلك على السيئة بانها فاضحة مردية موبقة وللحسنة بانها زائنة منجية مربحة . واما الابانة والتنكيل فانه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ويرجو عواقبها وتأميل فضلها ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والبشع بها والاقشعرار منها والحزن لها .

فافضل ذوي الالباب اشدهم لنفسه بهذا اخذاً واقلهم عنها فترة . وعلى العاقل ان يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً ذكراً يباشر القلوب ويقذع الطماح فان في كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر وامانا باذن الله من الهلع

وعلى العاقل ان يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الرأي وفي الاخلاق وفي الآداب فيجمع ذلك كله في صدر او في كتاب ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها اصلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفاً من اصلاح الخلة او الخلتين والخلال في اليوم او الجمعة او الشهر فكلما اصلح شيئاً محاه وكلما نظر الى ثابت اكتأب

وعلى العاقل ان يتفقد محاسن الناس ويحفظها ويحصيها ويسعى في توظيفها على نفسه وتعبدها بذلك مثل الذي وصفنا في اصلاح المساوي

وعلى العاقل ان لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع الا ذا فضل في الدين والعلم والاخلاق فيأخذ عنه او موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وان لم يكن له عليه فضل وان الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمي الا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين وليس لذي الفضل قريب ولا حميم هو اقرب اليه واحب من وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته ولذلك زعم بعض الاوائل ان صحبة بليد نشأ مع العلماء احب اليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

وعلى العاقل ان لا يحزن على شيء فاته من الدنيا او تولى وان ينزل ما اصاب من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب وينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة ما لم يطلب ولا يدع حظه من السرور بما اقبل منها ولا يبلغن سكرا ولا طغيانا فان مع السكر النسيان ومع الطغيان التهاون ومن نسي وتهاون خسر

وعلى العاقل ان يؤنس ذوي الالباب بنفسه ويجريهم عليها حتى يصيروا حرسا على سمعه وبصره ورأيه فيستنيم الى ذلك ويريح له قلبه ويعلم انهم لا يغفلون عنه اذا هو غفل عن نفسه .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على نفسه ان لا يشغله شغل عن اربع ساعات ساعة يرفع فيها حاجته الى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في امره وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل فان هذه الساعات عون على الساعات الاخر وان استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة . وعلى العاقل ان لا يكون راغبا الا في احدى ثلاث خصال تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم

وعلى العاقل ان يجعل الناس طبقتين مختلفتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد ويلبس لباس الانسة واللطف والبذلة والمفاوضة ولا يدخل في هذه الطبقة الا واحد من الف كلهم ذو فضل في الرأي وثقة في المودة وامانة في السر ووفاء بالاخاء

وعلى العاقل ان لا يستصغر شيئا من الخطإ في الرأي والزلل في العلم والاغفال في الامور فان من استصغر الصغير اوشك ان يجمع اليه صغيرا وصغيرا فاذا الصغير كبير

وانما هي ثلم يثلمها العجز والتضييع فاذا لم تُسد اوشكت ان تنفجر بما لا يطاق ولم نر شيئا قط قد أُتي الا من قبل الصغير المتهاون به

قد رأينا الملك يؤتى من قبل العدو الحقير ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذي لا يحفل به ورأينا الانهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به — واقل الامور احتمالاً للضياع الملك لانه ليس منه شيء يضيع وان كان صغيراً الاّ اتصل بآخر يكون عظيماً

وعلى العاقل ان يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وأن ظن انه على اليقين . وعلى العاقل ان يعرف ان الرأي والهوى متعاديان وان من شأن الناس تسويف الرأي واسعاف الهوى فيخالف ذلك ويلتمس ان لا يزال هواه مسوّفاً ورأيه مسعفاً

وعلى العاقل اذا اشتبه عليه امران فلم يدر في ايهما الصواب ان ينظر اهواهما عنده فيحذره .

من نصب نفسه للناس اماماً في الدين فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والاخدان فيكون تعليمه بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه فانه كما ان كلام الحكمة يونق الاسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم

ولاية الناس بلاء عظيم

وعلى الوالي اربع خصال هي اعمدة السلطان واركانه التي بها يقوم وعليها يثبت — الاجتهاد في التخير — والمبالغة في التقدم — والتعهد الشديد — والجزاء العتيد

اما التخير للعمال والوزراء فانه نظام الامر ووضع مؤونة البعيد المنتشر فانه عسى ان يكون بتخيره رجلاً واحداً قد اختار الفاً لانه من كان من العمال خياراً فسيختار كما اختير ولعل عمل العامل وعمل عماله يبلغون عدداً كثيراً فمن تبين التخير فقد اخذ بسبب وثيق ومن اسس امره على غير ذلك لم تجد لبنيانه قواماً . واما التقديم والتوكيل فانه ليس كل ذي لب او ذي امانة يعرف وجوه الامور والاعمال ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً ان يكل ذلك الى علمه دون توقيفه عليه وتبيينه له والاحتجاج به عليه واما التعهد فان الوالي اذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً وان العامل اذا فُعل ذلك به كان متحصناً حريزاً واما الجزاء فانه تثبيت المحسن والراحة من المسيء

لا يستطاع السلطان الا بالوزراء والاعوان ولا تنفع الوزراء الا بالمودة والنصيحة ولا المودة الاّ مع الرأي والعفاف واعمال السلطان كثيرة وقلما تستجمع الخصال المحمودة عند احد وانما الوجه في ذلك والدليل اليه الذي يستقيم به العمل ان يكون صاحب السلطان عالماً بامور من يريد الاستعانة به وما عند كل رجل من الرأي والغناء وما فيه من العيوب

فاذا استقرّ ذلك عنده عن علمه وعلم من يأتمن وجّه لكل عمل من قد عرف ان عنده من الرأي والنجدة والامانة ما يحتاج اليه فيه وان ما فيه من العيوب لا يضر بذلك ويتحفظ من ان يوجّه احداً وجهاً لا يحتاج فيه الى مروءة ان كانت عنده ولا يأمن عيوبه وما يكره منه

ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عمالهم وتفقد امورهم حتى لا يخفى عليهم احسان محسن ولا اساءة مسيء

ثم عليهم بعد ذلك ان لا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على الاساءة والعجز فانهم ان تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وضاع العمل. اقتصاد السعي ابقى للجمام وفي بعد الهمة يكون النصب ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان.

سوء حمل الغنى ان يكون عند الفرح مرحاً. وسوء حمل الفاقة ان يكون عند الطلب شرهاً. وعار الفقر اهون من عار الغنى. والحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة. والدنيا دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك. اذا جعل الكلام مثلاً كان اوضح للمنطق وابين في المعنى وآنق للسمع واوسع لشعوب الحديث

اشد الفاقة عدم العقل. واشد الوحدة وحدة العجب. ولا مال افضل من العقل. ولا أنس انس من الاستشارة — ما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس ان يكون اذا استعتب المذنب ستوراً لا يشيع واذا استشير سمحا بالنصيحة مجتهداً للرأي واذا استشار مطرحاً للحياء ومعترفاً للحق

القسم الذي يقسم للناس ويمتعون به نحوان فمنه حارس ومنه محروس فالحارس العقل والمحروس المال

والعقل باذن الله هو الذي يحرز الحظ ويؤنس الغربة وينفي الفاقة ويعرّف الفكرة ويثمر المكسبة ويطيب الثمرة ويوجه السوقة عند السلطان ويستنزل للسلطان نصيحة السوقة ويكسب الصديق وينفي العدوّ

كلام اللبيب وان كان نزرا ادب عظيم ومقارفة المأثم وان كان محتقراً مصيبة جليلة ولقاء الاخوان وان كان يسيراً غنم حسن.

قد يسعى الى ابواب السلطان اجناس من الناس كثيراً اما الصالح فمدعوّ واما الطالح فمقتحم واما ذو الادب فطالب واما من لا ادب له فمحتبس واما القويّ فمدافع واما الضعيف فمدفوع واما المحسن فمستثيب واما المسيء فمستجير فهو مجمع البرّ والفاجر والعالم والجاهل والشريف والوضيع

الناس الا قليلا من عصم الله مدخولون في امورهم فقائلهم باغ — وسامعهم عياب —

وسائلهم متعنت — وجيبهم متكلف — وواعظهم غير محقق لتوله بالعمل — وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف — والامين منهم غير متحفظ من اتيان الخيانة — وذو الصدق غير محترس من حديث الكذبة — وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة — والحازم منها غير تارك لتوقع الدوائر — يناقضون البنى — ويترقبون الدول — ويعاطون القبيح — ويتعايبون بالغمز — ويرعون في الرخاء بالتحاسد — وفي الشدة بالتجاذب

ثم قد انتزعت الدنيا ممن قد استمكن منها واعتكفت له فأصبحت الاعمال اعمالهم والدنيا دنيا غيرهم واخذ متاعهم من لم يحمدهم وخرجوا الى من لا يعذرهم فأصبحنا خلفا من بعدهم نتوقع مثل الذي نزل بهم فنحن اذا تدبرنا امورهم احقاء ان تنتظر ما نغبطهم به فنتبعه وما نخاف عليهم منه فنجتنبه

كان يقال ان الله تعالى قد يأمر بالشيء ويبتلي بثقله وينهى عن الشيء ويبتلي بشهوته فاذا كنت لا تعمل من الخير الا ما اشتهيت ولا تترك من الشر الا ما كرهت فقد طلعت الشيطان على عورتك وامكنته من ازمتك فأوشك ان يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه اليك وفيما تكرهه من الشر فيحببه اليك . ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل على ما يثقل منه وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما تحب منه

للدنيا زخرف يغلب الجوارح ما لم تغلبه الالباب والحكيم من لم يغض عليه طرفه ولم يشغل به قلبه اطلع من ادناه فيما وراءه وذكر في بدئه لواحق شره فأكل مره وشرب كدره ليحلولي له ويصفو في طول من اقامة العيش الذي يبقى ويدوم غير عائف الرشد ان لم يلقه برضاه ولم يأته من طريق هواه

لا تالف المستوخم ولا تقم على غير الثقة . قد بلغ فضل الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوغ ما لو ان اخسهم حظاً واقلهم منه نصيباً واضعفهم عملاً واعجزهم عملاً واعيامهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص اليه من فضله ووصل اليه من نعمته ما بلغ له منه اعظمهم حظاً واوفرهم نصيباً وافضلهم علماً واقواهم عملاً وابسطهم لساناً لكان عما استوجب الله عليه مقصراً وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً ومن اخذ بحظه من شكر الله وحمده ومعرفة نعمه والثناء عليه والتحميد له فقد استوجب بذلك من ادائه الى الله والقربة عنده والوسيلة اليه والمزيد فيما شكره عليه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة

افضل ما يعلم به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح ان يستصلح بما اوتي من ذلك من استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليه وان يبين الذي لهم من الاخذ بذلك والذي عليهم في تركه وان يورث ذلك اهله ومعارفه لبخته اجره من بعد الموت

الدين افضل المواهب التي وصلت من الله تعالى الى خلقه واعظمها منفعة واحمدها في كل حكمة فقد بلغ فضل الدين والحكمة ان مدحا على السنة الجهال على جهالتهم بهما وعاهم عنهما

احق الناس بالسلطان اهل الرأفة واحقهم بالتدبير العلماء واحقهم بالعلم احسنهم تأديبا واحقهم بالغنى اهل الجود واقربهم من الله انتدهم في الحق علما واكملهم به عملا واحكمهم ابعدهم من الشك في الله تعالى واصوبهم رجاء اوثقهم بالله واشدهم انتفاعا بعلمه ابعدهم من الاذى وارضاهم في الناس اقلهم معونة واشجعهم اشدهم على الشيطان واقلهم بالحجة اغلبهم للشهوة والحرص وآخذهم بالرأي اتركهم للهوى واحقهم بالمودة اشدهم لنفسه حياء واجودهم اصونهم بالعطية موضعا واحلمهم راحة اصبرهم للامور احتمالا واقلهم دهشا ارحبهم ذرعا واوسعهم غنى اقنعهم بما اوتي واعفهم عيشا ابعدهم من الافراط واظهرهم جمالا اظهرهم حصافة

وآمنهم في الناس اكلبهم نابا ومخلبا
واثبتهم شهادة عليهم انطقهم عنهم
واعدلهم فيهم ادومهم مسالمة لهم
واحقهم بالنعم اشكرهم لما اوتي منها

افضل ما يورث الآباء الابناء الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون

فصل ما بين الدين والرأي ان الدين يسلم بالايمان وان الرأي يثبت بالخصومة فمن جعل الدين خصومة فقد جعل الدين رأيا ومن جعل الدين رأيا فقد صار شارعا ومن كان هو يشرع لنفسه الدين فلا دين له

قد يشتبه الدين والرأي في اماكن لولا تشابههما لم يحتاجا الى الفصل

العجب آفة العقل واللجاجة قعود الهوى

والبخل كلفاح الحرص والمراء فساد اللسان والحمية سبب الجهل والكبر آية السفه والمنافسة اخت العداوة

واذا هممت بالخير فبادر هواك لا يغلبك واذا [illegible] فان ما مضى من الايام والساعات على ذلك هو الغنم

لا يمنعنك صغر شأن امرىء من اجتباء ما رأيت من رأيه صوابا واصطفاء ما رأيت من اخلاقه كريما فان اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان ناقبها الذي استخرجها

من ابواب الترفق والتوفيق في التعليم ان يكون وجه الرجل الذي يتوجه فيه من العلم

والادب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محل وقبول فلا يذهب عناؤه في غير غناء ولا تفنى ايامه في غير درك ولا يستفرغ تعبه فيما لا ينجع فيه ولا يكون كرجل اراد ان يعمر ارضاً تهمة ففرسها جوزا ولوزا وارضا جلسا ففرسها نخلا وموزا

العلم زين لصاحبه في الرخاء ومنجاة له في الشدة .

بالادب تُعمرُ القلوبُ وبالعلم تستحكمُ الاحلام فالعقل الزاكي غير الضنيع كالأرض الطيبة الخراب . ومما يدل على معرفة الله (وهو) سبب الايمان ان وكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا صغير او كبير عيناً فهو يصرّفه ويحركه فمن كان معتبراً بالجليل من ذلك فلينظر الى السماء فيعلم ان لها ربّاً يجري فلكها ويدبر امرها . ومن اعتبر بالصغير فلينظر الى حبة الخردل فيعرف ان لها مدبراً ينبتها ويزكيها ويقدر لها اوقاتها من الارض والماء يوقت لها زمان نباتها وزمان تهشيمها . وامر النبوة والاحلام وما يحدث في انفس الناس من حيث لا يعلمون ثم يظهر منهم بالقول والفعل ثم اجتماع العلماء والجهال والمهندين والضلال على ذكر الله تعالى وتعظيمه واجتماع من شك في الله تعالى وكذّب به على الاقرار بانهم أنشئوا حديثاً ومعرفتهم انهم لم يحدثوا انفسهم فكل ذلك يهدي الى الله ويدل على الذي كانت منه هذه الامور مع ما يزيد ذلك يقيناً عند المؤمنين بان الله حق كبير ولا يقدّر احد انه باطل

ان للسلطان المقسط حقاً لا يصلح خاصة ولا عامة امرٌ إلاّ بارادته فذو اللبّ حقيق ان يخالص لهم النصيحة ويبذل لهم الطاعة ويكتم سرهم ويزين سيرتهم ويذبّ بلسانه ويده عنهم ويتوخى مرضاتهم ويكون من امره المواتاة لهم والايثار لاهوائهم ورأيهم على هواه ويقدّر الامور على موافقتهم وان كان ذلك له مخالفاً . وان يكون منه الجدّ في المخالفة لمن جانبهم وجهل حقهم ولا يواصل من الناس الاّ من لا تباعد مواصلته اياه منهم ولا تحمله عداوة احد له ولا اضرارٌ به على الاضطغان عليهم ولا مواتاة احد على الاستخفاف بشيء من امورهم والانتقاص لشيء من حقهم ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم ولا يبطرُ اذا اكرموه ولا يجتري عليهم اذا قرّبوه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يلطف اذا سألهم ولا يدخل عليهم المؤونة ولا يستثقل ما حملوه ولا يفتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه وان يحمدهم على ما اصاب من خير منهم او من غيرهم فانه لا يقدر احد على ان يصيبه بخير الا بدفاع الله عنه بهم

مما يدل على علم العالم معرفته بما يُدرَك من الامور وامساكه عما لا يدرَك وتزيينه نفسه بالمكارم وظهور علمه للناس من غير ان يظهر منه فخر ولا عجب ومعرفته بزمانه الذي هو فيه وبصره بالناس واخذه بالقسط وارشاده المسترشد وحسن محالفته لخلطائه وتسويته

بين قلبه ولسانه وتحريه العدل في كل امر ورحب ذرعه فيما نابه واحتجاجه بالحجج فيما عمل وحسن تبصيره . من اراد ان يبصر شيئاً من علم الآخرة فبالعلم الذي به يعرف ذلك

ومن اراد ان يبصر شيئاً من علم الدنيا فبالاشياء التي هي تدل عليه

ليكن المرء سؤولاً وليكن فصولاً بين الحق والباطل وليكن صدوقاً ليؤمن على ما قال وليكن ذا عهد ليوفى له بعهده وليكن شكوراً ليستوجب الزيادة وليكن جواداً ليكون للخير اهلاً وليكن رحيماً بالمسرورين لئلا يبتلى بالغير وليكن ودوداً لئلا يكون معدناً لاخلاق الشيطان

وليكن حافظاً للسانه مقبلاً على شانه لئلا يؤخذ بما لم يجترم وليكن متواضعاً ليفرح له بالخير ولا يحسد عليه وليكن قنعاً لتقرّ عينه بما أوتي وليسرّ للناس بالخير لئلا يؤذيه الحسد

وليكن حذراً لئلا تطول مخافته

ولا يكن حقوداً لئلا يضر بنفسه اضراراً باقيا

وليكن ذا حياء لئلا يستلزم للعلماء فان مخافة العالم لم يذمه العلماء واشدّ من مخافته عقوبة السلطان

حياة الشيطان ترك العلم وروحه وجسده الجهل ومعدنه في اهل الحقد والقساوة ومثواه في اهل الغضب وعيشه في المعارمة ورجاؤه في الاصرار على الذنوب

وقال: لا ينبغي للمرء ان يعتدّ بعلمه ورأيه مالم يذاكره ذوي الالباب ولم يجاهموه عليه فانه لا يستكمل علم الاشياء بالعقل الفرد

اعدل السير ان تقيس الناس بنفسك فلا تأتي اليهم الا ما ترضى ان يؤتى اليك

وانفع العقل ان تحزن المعيشة فيما اوتيت من خير والاّ تكترث من الشر بما لم يصبك

ومن العلم ان تعلم انك لا تعلم ما لا تعلم

ومن احسن ذوي العقول عقلاً من احسن تقدير امر معاشه ومعاده تقديراً لا يفسد عليه واحد منهما الآخر فان اعياه ذلك رفض الادنى وآثر عليه الاعظم

وقال: المؤمن بشيء من الاشياء وان كان محرّاً خير من لا يؤمن بشيء ولا يرجو معاداً

لا تؤدي التوبة احداً الى النار ولا الاصرار على الذنوب احداً الى الجنة

من افضل اعمال البر ثلاث خصال الصدق في الغضب والجود في العسرة والعفو عند القدرة

رأس الذنوب الكذب هو يؤسسها وهو يفقدها ويثبتها ويتاوّن ثلاثة الوان بالامنية والجحود والجدل يبدأ صاحبه بالامنية الكاذبة فيما يزين له من السوآت فيشجعها عليها بان ذلك سيخفى فاذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة فان اعياه ذلك ختم بالجدل خاصم عن الباطل ووضع له الحجج والتمس به التشبث وكابر الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة ومكابراً للفواحش

لا يثبت دين المرء على حالة واحدة ابداً ولكنه لا يزال اما زائداً واما ناقصاً

من علامات اللئيم المخادع ان يكون حسن القول سيء الفعل بعيد الغضب قريب الحسد حمولاً للغش مجازياً بالحقد متكلفاً للجود مقصراً بالخطر متوسعاً فيما ليس له ضيقاً فيما يملك

وكان يقال اذا تخالجتك الامور فاستقل اسلمها خطراً فان لم يستبن ذلك فارجأها دركاً فان اشتبه ذلك فاجسرها ان لا يكون له مرجوع حين تولي فرصته

وكان يقال الرجال اربعة اثنان يختبرهما عندهما بالتجربة واثنان قد كفيت تجربتهما فاما اللذان يحتاج الى تجربتهما فان احدهما برٌ كان مع ابرار والآخر فاجر كان مع فجار فانك لا تدري لعل البر منهما اذا خالط الفجار ان يتبدل فيصير فاجراً ولعل الفاجر منهما اذا خالط الابرار ان يتبدل فيصير براً فيتبدل البر فاجراً والفاجر براً

واما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك فوة امرهما فان احدهما فاجر كان في ابرار والآخر برٌ كان في فجار

حق على العاقل ان يتخذ مرآتين فينظر من احداهما سيء مساوي نفسه فيتصاغر بها ويتأدب بمساويء منها وينظر من الاخرى في محاسن الناس فيطلبها بها ويأخذها باستطاعته منها

الذي يرضى الناس بالوالد والصديق والحبيب واستحق عليهم اسم الجميع

الذين يعدون بما لا تظنهم به في آخر لحاك ان لا تخلص منه

الورع لا يخدع والاريب لا يخدع

ومن ورع الرجل ان لا يقول ما لا يعلم ومن الارب ان يتثبت فيما يعلم

وكان يقال عمل الرجل فيما يعلم انه خطأ هوى والهوى آفة العفاف وتركه العمل بما يعلم انه صواب تهاون والتهاون آفة الدين

واقدامه على ما لا يدري أصواب هو ام خطأ جماح والجماح آفة العقل

وكان يقال وثر من فوقك ولن لمن دونك واحسن مواتاة اكفائك وليكن آثر ذلك عندك مواتاة الاكفاء فان ذلك هو الذي يثبت لك ان اجلالك من فوقك ليس بخضوع منك لهم وان لينك لمن دونك ليس لالتماس خدمتهم

خمسة مفرطون في خمسة اشياء مندمون عليها الوادن المفرط اذا فاته العمل والمنقطع من اخوانه وصديقه اذا نابته النوائب والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه اذا تذكر عجزه والمفارق الزوجة الصالحة اذا ابتلي بالطالحة والجريء على الذنوب اذا حضره الموت

امور لا تصلح الا بقرائنها لا ينفع العقل بغير ورع ولا الحفظ بغير عقل ولا شدة البطش بغير شدة القلب ولا الجمال بغير حلاوة ولا الحسب بغير ادب ولا السرور بغير امن ولا

الغنى بغير جود ولا المروءة بغير تواضع ولا الحفض بغير كفاية ولا الاجتهاد بغير توفيق

امور من تبع الامور فالمروآت كلها تبع للعقل والرأي تبع للتجربة والفبطنة تبع لحسن الثناء والسرور تبع للامن والقرابة تبع للمودة والعمل تبع للقدر والجدة تبع للاتفاق

اصل العقل التثبت وثمرته السلامة

واصل الورع القناعة وثمرته الظفر

واصل التوفيق العمل وثمرته النجح

لا يذكر الفاجر في العقلاء ولا الكذوب في الاعفاء ولا الخذول في الكرماء ولا الكفور بشيء من الخير

لا تؤاخين رخباً ولا تستنصرن عاجزاً ولا تستعينن كسلاً

ان من اعظم ما يروّح به المرء نفسه ان لا يجري لما يهوى وليس كائناً الا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن

اغتنم من الخير ما تعجلت به من الاهواء ما سوّفت ومن النصيب ما ادنيك ولا تفرح بالبطالة ولا تجبن عن العمل

من استعظم من الدنيا شيئاً فبطر واستصغر من البر شيئاً فجزع ولا تقرن من الاثم شيئاً فاجتراً عليه واغترّ بعدوّ وان قلّ فلم يحذره فذلك من ضياع العقل

لا يستخف ذو العقل باحد واحق من لم يستخف به ثلاثة الاتقياء والولاة والاخوان فانه من استخف بالاتقياء اهلك دينه ومن استخف بالولاة اهلك دنياه ومن استخف بالاخوان افسد مروءته

من حاول الامور احتاج فيها الى ست الرأي والتوفيق والفرصة والاعوان والادب والاجتهاد ومن ازواج فالرأي والادب زوج لا يكمل الادب الا بالرأي ولا يكمل الرأي بغير الادب

والاعوان والفرصة زوج لا تنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا تنفع الفرصة الا بحضور الاعوان . والتوفيق والاجتهاد زوج فالاجتهاد سبب التوفيق وبالتوفيق ينجح الاجتهاد

يسلم العاقل من عظائم الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس

لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد مالا يجد انجازه ولا يرجو ما يعنف برجائه ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه وهو يستحي نفسه عما يغبط به القوّالون خروجه من عيب التكذيب ويستحي نفسه عما ينال به السائلون سلامته من مذلة المسألة

ويسخي نفسه عن فرح الرجاء خوف الاكتساء
ويسخي نفسه عن عهدة المواعيد براءته من مذمة الخلف
ويسخي نفسه عن مراتب المقدمين ما يرى من فضائح المقصرين
لا عقل لمن اغفل عن آخرته ما يجده من لذة دنياه وليس من العقل ان يحرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها

حاز الخير رجلان سعيد ومرجوّ والسعيد الفالح والمرجوّ من لم يخصم والفالح الصالح ما دام في قيد الحياة وتعرض الفتن في مخاصمة الخصماء من الاهواء والاعداء

السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول لا شيء غيرها فاذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول لا شيء غيرها فيعجل الله له التنغيص في الدنيا التي آثر مع الحزن الذي يلقى بعدها

الرجال اربعة جواد وبخيل ومسرف ومقتصد فالجواد الذي يوجه نصيب آخرته ونصيب دنياه جميعاً في امر آخرته

والبخيل الذي لا يعطي واحدة منهما نصيبها

والمسرف الذي يجمعهما لدنياه

والمقتصد الذي يلحق بكل واحدة منهما نصيبها

اغنى الناس اكثرهم احساناً

قال رجل لحكيم: ما خير ما يؤتى المرء قال: غريزة عقل قال: فان لم تكن قال فتعلم علم قال: فان حرمه قال: صدق اللسان قال: فان حرمه قال: سكت طويل قال: فان حرمه قال: ميتة عاجلة

من اشد عيوب الانسان خفاء عيوبه عليه فانه من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره لم يقلع عن عيبه الذي لا يعرف ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصرها ابداً

خصال يسر بها الجاهل كاذبا كائن عليه وبالاً منها ان يخبر من العلم والمروءة بما ليس عنده ومنها ان يرى بالاخيار من الاستهانة والجفوة ما يشمئز بهم

ومنها ان يناقل عالماً وديعاً منصفاً له في القول فيشتد صوت ذلك الجاهل عليه ثم يفلج نظراؤه من الجهال حوله بشدة الصوت وكثرة الضحك

ومنها ان يفرط منه الكلمة او الفعلة المعجبة للقوم فيذكرها

ومنها ان يكون مجلسه في المحفل او عند السلطان فوق مجالس اهل الفضل عليه

من الدليل على سخافة المتكلم ان يكون ما يرى من ضحكه ليس على حسب ما عنده من القول او يجاذب الرجل الكلام وهو يكلم صاحبه ليكون هو المتكلم او يتمنى ان يكون صاحبه قد فرغ وانصت له فاذا انصت له لم يحسن الكلام

فضل العلم في غير الدين مهلكة وكثرة الادب في غير رضوان الله ومنفعة الاخيار قائد الى النار

والحفظ الذكي الواعي بغير العلم النافع مضر بالعمل الصالح والعقل غير الوازع عن الذنوب خازن للشيطان

لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان الخوف ما يكون الانسان لحريق النار اقرب ما يكون منها وكذلك الجاهل ان جاورك انصبك وان ناسبك جنى عليك وان الفك حمل عليك ما لا تطيق وان عاشرك آذاك واخافك مع انه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع ملك فظ وعند الموافقة في الدين قائد الى جهنم فانت بالهرب منه احق منك بالهرب من سم الاساود والحريق المخوف والدين الفادح والداء العياء

كان يقال قارب عدوك ببعض المقاربة لتذل حاجتك ولا تقارب كل المقاربة فيجتري عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان أملته قليلاً زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل

الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيداً لم يأمن من معاودته وان كان قريباً لم يأمن مواثبته فان رآه متكشفاً لم يأمن استطراده وكمينه وان رآه وحيداً لم يأمن مكره

الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار

الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأي ، والرأي بتكرار النظر وبتحصين الاسرار

ان المستشير وان كان افضل من المستشار رأياً فهو يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالودك ضوءاً وعلى المستشار موافقة المستشير على صواب ما يرى والرفق به في تبصير خطاه ان اتى به وتقليب الرأي فيما شكا فيه حتى تستقيم لهما مشاورتهما

لا يجتمع ذو الكبر في حسن الثناء ولا الحسد في كثرة الصديق ولا السيء الادب في الشرف ولا الشحيح في المحمدة ولا الحريص في الاخوان ولا الملك المعجب بثبات الملك

صرعة اللين اشد استئصالاً من صرعة المكابرة

اربعة اشياء لا يستقل منها قليل النار والمرض والعدو والدين

احق الناس بالتوقير الملك الحليم العالم بالامور وفرص الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والأناة الناظر في الامر يومه وغده وعواقب اعماله

السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم و بين طلبته

ان اهل العقل والكرم يتخون الى كل معروف وصلة وسبباً والمودة بين الاخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الاصلاح والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره ادنى عبث ثم لا يوصل له ابداً

والكريم يمنح الرجل مودته عن لقاءة واحدة او معرفة يوم واللئيم لا يصل احداً الا عن رغبة او رهبة وان اهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم امرين و يتواصلون عليهما ذات النفس وذات اليد فاما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض متاجرة ومكايلة

ما التبع والاعوان والصديق والحشم الا للمال ولا يظهر المروءة الا المال ولا الرأي والقوة الا بالمال ومن لا اخوان له فلا اهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا شيء له والفقر داعية الى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة وجمعة للبلايا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بداً من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره مقت ومن مقت أوذي ومن أوذي حزن ومن حزن ذهب عقله واستنكر حفظه وفهمه ومن أصيب في عقله وفهمه وحفظه كان اكثر قوله وعمله فيما يكون عليه لا له فاذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً واساء به الظن من كان يظن به حسناً فان اذنب غيره اظنوه وان كان للتهمة وسوء الظن موضعاً وليس خلة هي للغني مدح الاهي للفقير عيب

فان كان شجاعاً سمي اهوج
وان كان جواداً سمي مفسداً
وان كان حليماً سمي ضعيفاً
وان كان وقوراً سمي بليداً
وان كان لسناً سمي مهذاراً
وان كان صموتاً سمي عيياً

وكان يقال من بلي بفرض في جسده لا يفارقه او بفراق الاحبة والاخوان او بالغربة حيث لا يعرف مبيتاً ولا مقيلاً ولا يرجو اياباً او بفاقة تضطره الى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة

وجدنا البلايا في الدنيا انما يسوقها الى اهلها الحرص والشره فلا يزال صاحب الدنيا ينقلب في بلية وتعب لانه بخلة الحرص والشره

وسمعت العلماء قالوا : لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضا واحق ما صبر عليه مالا سبيل الى تغييره

وافضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس العقل المعرفة بما يكون ومالا يكون وطيب النفس وحسن الانصراف عما لا سبيل اليه وليس في الدنيا سرور يعدل محبة الاخوان ولا فيها غم يعدل غم فقدهم

لا يتم حسن الكلام الا بحسن العمل كالمريض الذي قد علم دواء نفسه فاذا هو لم يتداو به لم يغنه علمه والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان عقيرا والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل

ليحسن تعاهدك نفسك بما تكون به للخير اهلا فانك اذا فعلت ذلك اتاك الخير يطلبك كما يطلب الماء السيل الى الحدور

ان اولى الناس بفضل السرور وكرم العيش وحسن الثناء من لا يبرح رحله من اخوانه واصدقائه من الصالحين موطوءا ولا يزال عنده منهم زحام يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وامورهم فان الكريم اذا عثر لم يستقل الا بالكرام كالفيل اذا وحل لم تستخرجه الا الفيلة

لا يرى العاقل معروفا صنعه وان كثر كثيرا ولو خاطر بنفسه وعرضها في وجوه المعروف لم ير ذلك عيبا بل يعلم انه انما اخطر الفاني بالباقي واشترى العظيم بالصغير

واغبط الناس عند ذوي العقول اكثرهم سائلا منجحا ومستجيرا آمنا

لا تعدّ غنيا من لم يشارك في ماله ولا تعد نعيما ما كان فيه تنغيص وسوء ثناء

ولا تعدّ الغنم غنما اذا ساق غرما ولا الغرم غرما اذا ساق غنما ولا تعتد من الحياة ما كان في فراق الاحبة

ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الاخ اخاه وافضاء كل واحد منهما الى صاحبه بيثه واذا فرق بين الاليف والفه فقد سلب قراره وحرم سروره

وقال : ما رأينا مخلوف عقبة من البلاء الا صرنا في اخرى لقد صدق القائل الذي يقول : لا يزال الرجل مستمرا حتى يعثر فاذا عثر مرة واحدة في ارض الخبار لج به العثار وان مشى في جدد لان هذا الانسان موكل به البلاء فلا يزال في تصرف وتقلب لا يدوم لشيء ولا يثبت معه كما لا يدوم لطالع النجوم طلوعه ولا لآفلها افوله ولكنها في تقلب وتعاقب فلا يزال الطالع يكون آفلا والآفل طالعا انتهى

الدرة اليتيمة

لابن المقفع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين . قال عبدالله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظمَ اجساداً واوفرَ مع اجسادهم احلاماً واشدَّ قوة واحسن بقوتهم للامور القائاً واطولَ اعماراً وافضلَ باعمارهم للاشياء اختباراً فكان صاحبُ الدين منهم ابلغ في امر الدين علماً وعملاً من صاحب الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ووجدناهم لم يَرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية وكفونا به مؤونةَ التجارب والفطن وبلغ من اهتمامهم بذلك أنَّ الرجل منهم كان يُفتح له البابُ من العلم والكلمةُ من الصواب وهو بالبلد غيرِ المأهول فيكتبه على الصخور مبادرةً منه للاجل وكراهيةً لان يسقط ذلك على من بعده (١) فكان صنيعهم في ذلك صنيعَ الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذي يجمع لهم الاموال والعقد (٢) ارادة ان لا تكون عليهم مؤونة في الطلب وخشيةَ عجزهم ان هم طلبوا فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان ان يأخذ من علمهم وغايةُ احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم فيكون كأنه اياهم يحاور ومنهم يستمع غير ان الذي نجد في كتبهم هو المتخل في آرائهم (٣) والمنتقى من احاديثهم ولم نجدهم غادروا شيئاً يجد واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له مقالاً لم يسبقوه اليه لا في تعظيم لله عز وجل وترغيب فيما عنده ولا في تصغير للدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامها وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذها ولا في وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبقَ في جليل من الامر لقائلٍ بعدهم مقال وقد بقيت اشياء من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعضُ ما انا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

ياطالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع

---

(١) اي يضيع عليه (٢) العقد جمع عقدة وهي العقار ونحوه يقال اعتقد فلان عقدة اذا اشترى ضيعة او اتخذ مالاً من عقار وغيره (٣) المتخل المختار

اضاعة الاصول فلا يكون تركهم تركا ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفضول وان اصاب الفضل بعد احراز الاصل فهو افضل

فاصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدي الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم انه ان حرمه هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه في الدين والعبادة فهو افضل واكمل

واصل الامر في اصلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل والمشارب والماء الا اتفاقا وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو افضل

واصل الامر في الباس ألا تحدث نفسك بالادبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون اول حامل وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو افضل

واصل الامر في الجود ألا تضن بالحقوق عن اهلها ثم ان قدرت ان تزيد ذا الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل

واصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ (١) ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو افضل

واصل الامر في المعيشة ان لا تنهى عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد وما تنفق ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطرا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقا ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولا لتروض (٢) نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في صبيته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعلم ان من العجب ان يبتلى الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته وانما الرأي لهو الحق عليه ان يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه فاذا انتقلت شيئا من لاعمال فكن فيه احد رجلين اما رجلا مغتبطا بدنيا فقط عليه خفة ان يزول عنه واما رجلا كاردا فالكاره عامل في مخرق اما للملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره

(١) السقط بفتحتين الخطأ من القول والفعل ورديء المتاع (٢) راض نفسه على الشيء اكثر من استعمالها فيه ليسلس وهو من قولهم راض المهر رياضة

ايالة اذا كنت واليا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلة من الثلل (١) يتحكمون عليك منها وبابا يتحكمون منه وغيبة يغنا بونك بها ويتحكمون منها . اعلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الزاد له محمود والقابل له معيب .

لتكن حاجتك في الولاية ان ثلاث خصال رضى ربك ورضى سلطان ان كان فوقك ورضى صالح من تلي عليه وما عليك ان تلهى (٢) عن المال والذكر فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بدا . (٣)

اعرف اهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ولا يقذفن في روعك انك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فانك لست تريد الرأي للافتخار به ولكن تريده للانتفاع به ولوانك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل التفضل ان يقال لا ينفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لا يدرك وكيف يتفق لك رأي المختلفين وما حاجتك الى رضى من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوي العقل فانك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ماسواه لا تمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم

اتعرف رعيتك ابوابك التي لا ينال ما عندك من الخير الا بها والابواب التي لا يخافك خائف الا من قبلها . احرص الحرص كله على ان تكون خبيرا بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعلمك قبل ان يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك أنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجي

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وغدلهم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لأهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجتريء به سفيه او يستخف له شأن

---

(١) الثلة في الحائط وغيره الخلل وفيها ثلم مثل ثرمة وغرف (٢) لهي عن الشيء سلا عنه وترك ذكره (٣) قد استعمل بدا هنا في الاثبات وقد قال بعضهم انه لا يعرف

لا تتركن مباشرة جميع امرك فيعود شأنك صغيراً ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعا

اعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم وان مالك لا يغني الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق وأنّ كرامتك لا تطيق العامة فتوخّ بها اهل الفضائل (١) وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه من الدعة (٢) فأحسن قسمتهما بين دعتك وعملك

واعلم انك ما شغلتَ من رأيك بغير المهم ازرى بالمهم (٣) وما صرفت من مالك بالباطل فقد تهّ حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضرّ بك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازرى بك في الحاجة

اعلم ان من الناس ناساً كثيراً يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك على الكلوح (٤) والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بمقربته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضي ان يتبرع بالامر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن اعطاه ويكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالاً من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقاب او يخبطه المسّ من يعاقب في غضبه غير من اغضبه ويهب عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزاً في صفته

اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر .

اذا كان سلطانك عند جدّة دولة فرأيت امرا استقام غير رأي واعوانا جزوا بغير نيل وعملا انجح بغير حزم فلا يزلنك ذلك بل تستخم اليد فان الامر الجديد ما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في النفس آخرين فيعين قوم بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم

استعماله الا مقروناً بالنفي يقال لا بدّ من كذا اي لا محيد عنه او لا عوض منه (١) توخيت الشيء تحريته وقصدته (٢) الدعة بالفتح الراحة والسكون والوديع الساكن (٣) ازريت به قصرت به واحتقرته (٤) الكلوح تكشر في عبوس

و يستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فاذا كان من الامر بني على غير اركان وثيقة ولا عماد محكم اوشك ان يتداعى و يتصدّع

لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالطشاشة والبشاشة فان احداهما من الكبر والاخرى من الصلف

اذا كنت لا تضبط امرك ولا تصول على عدوك الا بقوم لست منهم على ثقة من رأي ولا حفاظ من نية فلا تنفعك نافعة حتى تحوّلهم ان استطعت الى الرأي والادب الذي بمثله تكون الثقة او تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريد ولا تغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذي يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته . وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد . وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذرا في تخوّف الفقر . وليس له ان يكون حقودا لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس . وليتق ان يكون حلافا فاحقّ الناس بانقاء الايمان الملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مبانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عيّ بالكلام حتى يجعل الايمان له حشوا ووصلا واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزّل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله الا بعد جهد اليمين واما عبث في القول اوارسال اللسان على غير روية ولا تقدير

لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعبد الجسيم من امره وفوّض ما دون ذلك الى الكفاة .

كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره بعين الريبة وقلبه بعين المقت فانهما يريان الجور ويحملان على الباطل ويقبحان المحسن ويحسنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذي ما وقع في قلبه ربا مع ما يقيض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالي الذي ما قال او فعل كان امرا نافذا غير مردود

ليعلم الوالي أنّ الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فليكابد نقض قوله وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التي يوصفون بها

ليتفقد الوالي فيما يتفقد من امور الرعية فاقة الاحرار منهم فليعمل في سدها وطغيان السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

لا يحسن الوالي من نفسه ظناً ولا يثق بها الا بعد ان يستبرئ من السيئة التي ان ظهرت من غيرها ساءته ولا يظلم رعيته

لا يؤمن الوالي على الرعية من ليس يتهم على الحرص على رضاه الا لوم الادب والتقويم ولا يعتمدن بالتجهيل في رضاه البصير بما يأتي احداً فتنهه اذا اجتمعا في الوزير او الصاحب نام الوالي واستراح وجلبت اليه حاجاته وان هدأ عنها وعمل فيما يهمه وان غفل

لا يولعن الوالي بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيباً موفوراً يروّح به عن قلبه ويصدر به اعماله

لا يضيعن الوالي التثبت عند ما يقول وعند ما يعطي وعند ما ينعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأني فيه احسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبت واحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم فعلهم دافع وليس عليهم مستحث

ليعلم الوالي ان الناس على رأيه الاّ من لا بال له منهم فليكن للبرّ والمروءة عنده نفاق فيكسد بذلك الجور والدناءة في آفاق الارض (١)

جماع (٢) ما يحتاج اليه الوالي رأيان رأي يقوي سلطانه ورأي يزينه سيف الناس ورأي القوة احقهما بالبداءة (٣) واولاهما بالأثرة ورأي التزيين احضرهما حلاوة واكثرهما اعواناً مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطة (٤) في غير معاتبة ولا تجدن لك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً

اذا رأيت احدهم يجعلك اخاً فاجعله اباً ثم ان زادك فزده

اذا نزلت من ذي منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيراً واجلالاً من غير ان يزيدك وداً ولا نصحاً وانك ترى حقاً له التوقير والاجلال وكن في مداراته والرفق به كالمؤتنف (٥) ما قبله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدلّ على ذي السلطان بقدمه قد اضرّ به قدمه

---

(١) كسد الشيء لم ينفق لقلة الرغبات فيه ويعدى بالهمزة فيقال اكسده الله (٢) جماع الشيء بالكسر ما يجمعه ومنه الخبر جماع الاثم (٣) البداءة اسم من بدأ واما البداية بالياء فهو عامي (٤) الرابطة العلقة والوصلة وهذا المعنى غير مناسب لهذا الموضع فلعلها محرفة من الرياضة (٥) ائتنف الشيء واستأنفه اخذ فيه وابتدأه

لا تعتذرنّ الا الى من يجب ان يجد لك عذراً ولا تستعينن الا بمن يجب ان يظن لك بحاجتك
لا تحدثن الا من يرى حديثك مغنماً ما لم يغلبك الاضطرار
اذا غرست من المعروف غرساً وانفقت عليه نفقة فلا تضنن بالنفقة في تربية ما غرست فتذهب النفقة الاولى خياناً
اذا اعتذر اليك معتذر فقابله بوجه مشرق وبشر طليق الا ان يكون من قطيعته شيعة
اعلم أنّ اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . زينة في الرخاء . وعدة في الشدة . ومعونة في المعاش والمعاد فلا تفرّطن في اكتسابهم وابتغاء الوسائل والاسباب اليهم
اعلم انك واجدٌ رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الابية (١) التي قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيراً ممن يرغب في اخائهم فاذا رأيت احداً من اولئك قد عثر به الزمان فأقله
اذا عرفت نفسك من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرنّ من الدعاء له في كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس فلا تألُ عما عظمه ووقره .
ان استطعت الا تصحب من صحبت من الولاة الا على شعبة من قرابة او مودة فافعل فان اخطأك ذلك فاعلم أنك تعمل على عمل السخرة وان استطعت ان تجعل صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروآتك (٢) قبل ولايته فافعل
ان الوالي لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولي فكل الناس يلقاه بالتزين والتصنع وكلهم يحتال لان يُغنى عليه عنده بما ليس فيه غير أن الارذال والاذلال هم اشدّ لذلك تصنعاً وعليه مكابرة وفيه تحاملاً فلا يمتنعُ الوالي وان كان بليغ الرأي والنظر من ان ينزل عنده كثيرٌ من الاشرار بمنزلة الاخيار وكثيرٌ من الخائنة بمنزلة الامناء وكثيرٌ من الفجرة بمنزلة الاوفياء ويغطى عليه امرٌ كثير من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التحمل والتصنع
لا يعرفنك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية او مشاهدة فتتهم في ذلك واذا اردت ان يُقبل قولك فصح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى فان الرأي يقبله منك العدوّ والهوى يردّه عليك الولي واحق من احترست من ان يظن بك خلط الرأي بالهوى الولاة فانها خديعة وخيانة وكفر

(١) الابية كسكرة العظمة والنخوة (٢) المروءة بضم الميم آداب نفسانية تحمل الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات وقد تشدّد فيقال مروّة

ان اتفقت بحضرة والٍ لا يريد صلاحك وعلمت انك قد أخبرت بذلك فليس ينبغي خيار لما يملك مع الوالي على النصيحة بهذا هلاك الدين وإما الخير مع النصيحة للوالي وهذا هلاك الدنيا ولا سيما لك الا بلغت ابا العرب ، وإني أكد لا يرضى الله وان كان الوالي غير مرضي السيرة اذا علقت به لك بجهد الا المحافظة عليه الا ان تجد الى افتراق الجميل سبيلا

تبصر ما في الوالي من الاخلاق التي تحب والتي تكره وما هو عليه من الرأي الذي يرضى له والذي لا يرضى ثم لا تكابره بالقول له ما يحب ويكره الى ما تحب وتكره من مدة رياضة صعبة تحمل على الضائي بالقلى

اعلم انك قلما تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة وان لم يجمع عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه وتصيب له منه وتقويه فيه فاذا قويت منه المحاسن كانت هي التي تكفه عن المساوي واذا استمكنت منه ناحية من الصواب كان ذلك هو الذي يدعوه اخطأ بالملف من تصويبك وادخل من سكنت في نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضا ويدعو بعضه الى بعض فاذا كانت لك مكانة فاتبع الخطأ فاحفظ هذا الباب واحكمه . ولا يكونن طلبك ما عند الوالي بالمسألة ولا تستبطئه وان ابطأ وتحين اطلب ما قبله بالاستحقاق له واستأن وان طالت الأناة (١) فانك اذا استحقته اتاك من غير طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له

لا تخبرن الوالي أن لك عليه حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان يدعي حقك وبلاءك فافعل وليكن ما تذكره من ذلك تحديدك له النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر يذكره اول بلائك

واعلم ان ولي الامر اذا انقطع عند الآخر نسي الاول وان الكثير من اولئك ارحامهم مقطوعة وحبالهم مصروفة الا ممن رضوا عنه واغنى عنهم في يومهم وساعتهم

اياك ان يقع في قلبك تعتب على الوالي او استزادة له فانه ان آنست ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليماً وبدا على لسانك ان كنت سفيهاً وان لم يبد ذلك على ان يظهر في وجهك لا من الناس عندك فلا تأمنن ان يظهر ذلك للوالي فان الناس اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالي كان قلبه هو اسرع الى التغضب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية واشرف بك على اضلالك وصرت تعرف امرك مستديراً وتلتمس مرضاته مستصعبا

---

(١) استأنى في الامر تأنى فيه ولم يعجل والاسم منه أناة بوزن حصاة

اعلم ان اكثر الناس عدوا لمجاهر احاضر امريناواشيا وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منفوس (١) عليه بما يفيض على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غيره وغيرانه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان من محاسديه احباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل والمنازل وهم وغيرهم من عداوه الذين هم حضاره ليسوا يتعدون من فوقه الذي عنده المتكلم منه وهم لا يتقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل فاعرف هذه الحال والبس لهؤلاء القوم الذين هم اعداؤك سلاح الصحة والاستقامة ولزوم الحق تسر وتعلن ثم روح من قلبك كأنه لا عدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر عند ولي الامر بسوء في وجهك او في غيبتك فلا يزعجنك ذلك الولي ولا غيره اختلاجا ولا انتياطا ولا يقعن ذلك موقع ما يكرثك فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك امورا مشتبهة بالريب مذكرة ما قال فيك العائب وان انشطرك الامر في ذلك الى الجواب فليكن جوابك الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تتكلم فيان القوة والغلبة تعلم ابدا

لا تحضرن عند الوالي كلاما لا يعنيه ولا يؤمر بحضوره الا العناية به او يكون جوابا بالشيء سئلت عنه ولا تعدون تمام الوالي شيء ولا انلاثه اختلاطا فان رئيك العز قد تبسط اللسان بالفاظ في غير محظة ولا امر

جانب المحفوظ عليه والظنين (٢) به عند الولاة ولا يجلسنك واياه مجلس ولا تظهرن له سرا ولا تثقن عليه خبرا عند احد من الناس فاذا رأيته قد بلغ من الارعاب (٣) ما تخاف عليه فيه ما ترجو ان يلين له الوالي واستيقنت ان الوالي قد استيقن بباعدتك اياه وشدتك عليه فضع عذره عند الوالي واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف

ليعلم الوالي انك لا تستنكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك ان تقدم اليه القول عند بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستعفاء من الاعمال التي يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب واشباه ذلك

اذا اصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن ذلك تغيرا على احد من اخوانه واعوانه ولا استخفافا بهم فانك لا تدري متى ترتد ادنى جنودك فتذل لهم فيها وفي تلون الاحوال عند ذلك من العار ما فيه

ليكن مما تحكم من امرك ان لا تسأل احدا من الناس بالا تجلس اليه بشيء تخفيه

---

(١) نفس عليه بخير حسده عليه ولم يرد له اهلا ونفس بالشيء ضن به وهو من باب سمع

(٢) الظنة بالكسر التهمة والظنين المتهم (٣) الارعاب مصدر قولك ارعبني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعا عن الاساءة

عن السلطان فان السرار مما يُخيل الى كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكة ووغرا وثقلا (١)

لا تتهاونن بارسال الكذبة (٢) عند الوالي او غيره في الهزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تأتي به

تنكب فيما بينك وبين الوالي خلقا قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن اثر او صواب رأي انه هو عمل في ذلك او اشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت ان يعرف صاحبك انك تُفضله (٣) صواب رأيك فضلاً عن انك تدعي صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل فان الذي انت آخذ بذلك اكثر مما انت معطٍ باضعاف

اذا سأل الوالي غيرك فلا تكونن انت المجيب عنه فان استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل . وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها دونك فاجب(؟)واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب الكلام مواثبة فان في ذلك مع شين التكلف والخفة أنك اذا سبقت القوم الى الكلام صاروا لكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت اقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً واستدبرت به اقاويلهم حتى تصغي اليك الاسماع ويبدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الكلام حتى يكتفي بغيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوتُ ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير من سوء وضعه وان كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خيرٌ من مئة كلمة امثالها في غير فرصها ومواضعها مع ان كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان ظن صاحبه ان قد اتقن واحكم .

واعلم ان هذه الامور لا تنال الا برُحب الذرع عند ما قيل وما لم يُقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة او لم يظهر وسخاوة النفس عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة والحسد والمراء

---

(١) الحسيكة الضغن والعداوة — الوغر شدة الغيظ وهو مأخوذ من الوغرة وهي شدة توقد الحر (٢) الكذبة بفتح الكاف وسكون الذال وجمعها كذبات بفتح الذال (٣) يقال تحلته القول اذا اضفت اليه قولاً قاله غيره

اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر هذا من نفسك وتعهد ما فيه

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم اخوانا ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها والعمل يؤمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وانت مجمل واما ان لا يكون ذلك عندك فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينتك وما انت واجد في موافقتك اياهم وليتك لهم من موافقتهم اياك وليتعم لك افضل مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة

لا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك فانا قد رأينا الناس يعرفون فضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم اعداء فاذا حضروا دار السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه في الرأي والعلم فضل فاجترؤوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كأحدهم وليس بواجد في كل حين سامعا فهما وقائلا عدلا وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي مردود القول

اذا اصبت عند الوالي لطفا منزلة لغناء (١) يجده عندك او هوى يكون له فيك فلا تضمحن كل الطماح ولا تزيدن لك نفسك المنزلة له عن اليفه وموضع ثقته وسره قبلك بان تقتحمه وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفه قد يبتلى بها الحلماء عند الدنو من ذي السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه او نقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيئة من السوقة (٢) اليف وانيس قد عرف روحه واطلع على قلبه فليست عليه مؤونة في تبذل يتبذل له عنده او رأي يستنزله منه او سر يفشيه اليه غير ان تلك الآنسة (٣) وذلك التبذل يستخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدد ولو التمس ملتمس مثل ذلك عندهم يستأنف ملاطفته ومؤانسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأي ممن قد كفي مؤانسته ووقع على طباعه لان الآنسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يناط (٤) بالقلوب الا ما لان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امرا ذا مؤونة فاذا كلفتك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقعد فيما دون ذلك

---

(١) الغناء بالفتح الكفاية (٢) السوقة خلاف الملك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما جمع على سوقات مثل غرفة وغرفات (٣) الآنسة بالتحريك ضد الوحشة (٤) النياط الشيء بقلبه لصق به من فرط الحب

بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك او غيرك من لعله يكون له عندك سيئة المروءة انك اولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلاته وثقاته فذكر الذي عليه من حق اليفه وثقته واليسه في التذكرة والذي يعينه على ذلك من الرأي انما يجد عنده من الالف والانس ما ليس واجداً عند غيره فليكن هذا مما تحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأي فيه لنفسك في مثل ذلك ان اردت مزيد على اصحاب دون انيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي وعند ما يغرم به الرجل من ذلك يبدو منه الشغف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند اولي الامر خاصة

لا تشكون الى وزراء السلطان وخلانه ما اطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك لا تزيد على ان تغطيهم لميله وتغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه

اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انه يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والامور فاذا آثر ان يكره كل ما يخالفه او يتمعض من الجفوة يراها في المجالس او النبوة في الحاجة او الرد للرأي او الاعنات لمن لا يهوى اذاه والاقصاء من يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالي وغيره وكان ذلك لفساد منزلته سبباً لتذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأي الولاة وقرره بانهم انما كانوا اولياءك لتتبعهم في آرائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتغلب من خلائهم اياك

اعلم ان الملوك يقبلون من وزرائهم التخيير ويعدونه منهم شفقة ونظراً ويحمدونهم عليه وان كانوا اجواداً فان كنت مخيلاً فتشت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مخيراً لم تأمن اضرار ذلك بمنزلتك عنده فالرأي لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تتركه من تخييل صاحبك بان لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلاً الى شيء من هواه ولا طلباً لغير ما ترجو ان يزينه ويشحه

لا تكونن محبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندها وموافقتهم فيما خالفك وتقديم الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا تكتمهم سرك ولا تستطلع ما كتموكه ولا تخفي ما اطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحبب نفسك الحديث به وتمم الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتنبيت لطبيعتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم

وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا احسنوا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا اساءوا وكثرة التغمد لسيئهم وحسن الستر لمساويهم والمشاركة لمن فاز بوا وان كان بعيدا والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بمرضهم ومن لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والتذكر له وان نسوه والتخفيف عنهم للمؤونات والاحتمال لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالجهود فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فاغن عن ذلك نفسك باعتزالهم جهدك فان من يأخذ علمهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة . انك لا تأمن ان اظلمهم او اعتدي بهم ان كتمهم ولا تأمن غضبهم ان صدقتهم ولا تأمن سلوتهم ان حدثتهم . ان لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك وان زايلتهم لم تأمن عقابهم . انك ان تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . انهم ان سخطوا عليك لعلكولك وان رضوا عنك تكلفت من رضاهم ما لا تطيق فان كنت حافظا ان يبلغ مجلدا ان قربك اميدا ان التمسوك تذكرهم ولا تكلفهم الشكر بصيرا بالمواهب مؤثرا لمنافعهم ذليلا ان ضلوا راضيا ان اخطأوك والا واليعد منهم كل البعد واحذر كل الحذر .

باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واحذر بدينك وعرضك عن كل احد .

ان سمعت من صاحبك كلاما او رأيا يعجبك فلا تتحلله تريدا به عند الناس وانف من التزين بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه . واعلم ان انتحالك ذلك سخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عارا فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء فهذا من سوء الادب الفاشي في الناس . ومن تمام حسن الخلق والادب ان تحفو نفسك لاخيك بما تقول من كلامك ورأيك وتنسب اليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت .

لا يكونن من خلقك ان تبتدي حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كأنك رأيت فيه بعد ابتدائه وليكن تروية فيه قبل النفوه فان اجتجان الحديث بعد افتتاحه تخف (١)

— احزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل الصواب

(١) الروية الفكر والتدبر وهي كلمة جرت على السنتهم بغير همز تخفيفا وهي من رويت في الامر بالهمز اذا نظرت فيه . واجتجن المال ضمه الى نفسه وامسكه

وانما تمام اصابة الرأي والقول باصابة الموضع فان اخطأك ذلك ادخلت الخفة على كلامك حتى تأتي به ان اتيت به في غير موضعه مقبولا بهاء ولا طلاوة له

لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تستمع احرص منك على ان تقول

ان آثرت ان تفاخر احدا ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الجد او قاربه فدعه ولا تخلطن الجد هزلا ولا بالهزل جدا فانك ان خلطت بالجد هزلا شجنته وان خلطت بالهزل جدا كدرته غير اني قد علمت موطنا واحدا ان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهرت على الاقران وذلك ان يتمرد ك متمرد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برجح من النوع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو احد رجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع مواطنه لك اقربها من عدوك لشر يكفه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى .

تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفسا عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراة لئلا يظن اصحابك ان ما بك التطاول عليهم

اذا اقبل اليك مقبل بوده فسرك الا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن شأنه ان يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه

لا تكثرن ادعاء العلم في كل ما يعرض فانك من ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف (١) واما الا ينازعوك ويخلوا الامور سيفي يديك فينكشف منك التصنع والمعجزة

استحي الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحا او معرضا وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء

ان آنست من نفسك فضلا فتحرج ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقرر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفين عليك ان حرص الرجل على اظهار ما عنده وقلة وقاره في ذلك باب من البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم

---

(١) الصلف مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا

ان احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد (١) الذي لا خبار (١) فيه ولا عثار فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعي. فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فيقي عنك الحسد واما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار

واذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشحاً وسوء ادب وسخفاً

ليعرف اخوانك والعامة انك ان استطعت ان تكون الى ان تفعل ما لا تقول اقرب منك الى ان تقول ما لا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عارٌ وشجنةٌ وفضل الفعل على القول زينة وانت حقيق فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحتجن بعض ما في نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرّزاً بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلما يكون الا مقصراً

احفظ قول الحكيم الذي قال لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك ان العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس بينك وبينه قاضٍ فانما حكمه رضاه

اجعل عامة تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل (؟) ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلاً من اخوانك وان كنت معذراً نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارنته على غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالائتلاف الائتلاف والتثبت التثبت

اذا نظرت في حال من ترئيه لاخائك فان كان من اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهلٌ لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون اخاً صادقاً لان الكذب الذي يجري على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شانع صاحبه

---

(١) الجدد المستوي من الارض وقيل الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد امن العثار . والخبار ارض رخوة فيها حجرة وفي المثل من تجنب الخبار امن العثار

تحرّز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شيء الا وهو ريح جنة تسلب العقل وتذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع

اعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك العداوة وان تفرشك لهم يكسبك صديق السوء وفسولة الاصدقاء اضرّ من بغض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تنمى والمعاذير لا تنمى

البس للناس لباسين ليس للعاقل بدّ منهما ولا عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلفين الا متحفظاً متشدداً متحرزاً مستعداً ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتتلقاهم ببنات صدرك وتفضي اليهم بموضوع حديثك وتخلع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل لان ذا الرأي لا يدخل احداً من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل

اعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتع به وصارفه في محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك واذا غلب عليه شيء من اشباه ما سميت لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكون الا لك ولا يستولي عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمؤاساة فتشاركه في البلية واما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروّتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة اخيك فيها فاجمل فلعل الاجمال يسعك لقلته في الناس

اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه

اذا كانت لك عند احد صنيعة او كان لك عليه طول فالتمس احياء ذلك بإمانته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرن في قلة المنّ على ان تقول لا اذكره ولا اصغي بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون في مجالستك اياه وما تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف

احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء

من ذلك عُدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبةَ الا بالجهاد وان قلة الاعداد لموافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوءٍ غريزة وانما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء فاما ان يسلم احد من ان تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا ان الرجل القويّ اذا كابرها بالقمع لها كلها كلما تطلعت لم يلبث ان يميتها حتى كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كمونَ النار في العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة اوغفلة استورت كما تستوري عند القدح ثم لا يبدأ ضرها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التي كانت فيه

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك ما لا يكاد يخطئك فان الصبر صبران صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه اكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطراً واعلم ان الئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشي او يده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوباً وللامور محتملاً وفي الضرّ متجملاً ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهوى تاركاً وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك . واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين واجداهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يحرّض عليه علم المنافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلاؤها فضيلة منزلة عند اهل الفضل في الالباب

عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاآن سخاوة نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في ايدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما في يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في ايدي الناس امحض في التكرم وانزه من الدنس فان هو جمعهما فبذل وعفّ فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تكون حسوداً فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يوكل بالادنى فالادنى من الاقارب والاكفاء والخلطاء فليكن ما تقابل به الحسد أن تعلم أنّ خير ما تكون حين تكون مع من هو خيرٌ منك وأن غُنماً لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقتبس من علمه وافضل منك في القوة فيدفعَ عنك بقوته وافضل منك في المال فتفيد من ماله وافضلَ منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وافضل منك في الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه

ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تخبر عدوك انك له

عدوك فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك

اعلم ان اعظم خطرك ان تُري عدوك انك لا تتخذه عدوًا فان ذلك غِرّة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت قدرت فاستطعت اغتفارًا لعداوته عن ان تكافيء بها فهنالك استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئًا بالعداوة والضرر فاياك ان تكافيء عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار. واعلم مع ذلك انه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله كالخيانة لا تكافأ بالخيانة والسرقة لا تكافأ بالسرقة ومن الحيلة في امرك مع عدوك ان تصادق اصدقاءه وتؤاخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق والتجافي فانه ليس رجل ذو طرق (١) يمتنع من مؤاخاتك اذا التمست ذلك منه وان كان اخوان عدوك غير ذوي طرق فلا عدوّ لك

لا تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معايبه ومثالبه واتباع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك صغير ولا كبير من غير ان تشيع عليه فينقيك به ويستعد له او تذكره في غير موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل امكان الرمي

لا تتخذ اللعن والشتم على عدوك سلاحًا فانه لا يجرح في نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة

ان اردت ان تكون داهيًا فلا تحبنّ ان تسمى داهيًا فانه من عُرف بالدهاء خاتل علانية وحذره الناس حتى يمتنع منه الضعيف وان من ارب الاريب دفن اربه ما استطاع حتى يُعرف بالمسامحة في الخليقة والطريقة ومن اربه ألاّ يؤارب العاقل المستقيم له الذي يطلع على غامض اربه فيمقته عليه

ان اردت السلامة فاشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجرّئهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فأشعب لمداراة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفة من رأيك . وان ابتليت بمجازاة عدو مخالف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر في امرك والجراءة في قلبك حتى تملأ قلبك جراءة ويستفرغ عملك الحذر

انّ من عدوك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز انتصارك في الغلبة ان تحصي على نفسك العيوب والعورات

---

(١) الطرق بفتح فسكون ضعف العقل وقد طرق كفرح فهو مطروق ويقال فلان به طرقة اي هوج . وطرق فلان واخذ في التطريق اذا احتال

كلما احصيتها على عدوك ولتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله او مشاكله فان كنت قارفت منه شيئاً فأحصه فيما تحصي على نفسك حتى اذا احصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك واحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك مسيئاً مصيباً فاذا آنست منها دفعاً لذلك او تهاوناً به فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً جانياً معوراً لعدوك ممكناً له من رميك وان حصل من عيوبك بعض ما لا تقدر على اصلاحه من امر قد مضى يعيبك عند الناس ولا تراه انت عيباً فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل من حسبك او مثالب آبائك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك كله نصب عينيك واعلم ان عدوك مريدك بذلك فلا تغفل عن التهيؤ له والاعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سراً وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدن له ولا تستغن به فانه لا يهولك مالم يقع واذا وقع اضمحل

اعلم انه قلما يبدو احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعيره به معير عند السلطان او غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو منه عند ذلك والذي يكون من انكساره وفتوره عند تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها

اعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم ما عنده وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن . وانما النساء اشباه وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما المترغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلاً وتفاوتاً مما في رحالهم من النساء . ومن العجب ان الرجل الذي لا بأس في لبه يرى المرأة من بعيد متلفعة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبيح وادم الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا يزال مشغوفاً بالم يذق حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأناً غير شأن ما ذاق وهذا هو الحمق والشقاء ومن لم يحم نفسه و يظلفها ويجلها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ايسر ما يصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا مخادعاً لنفسه في امر جسده عند الطعام

والشراب والحمية والدواء وفي امر مروءته عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند الريبة والشبهة والطمع

ان استطعت ان تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال و رأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك مالم تزين هو الجمال

لا يعجبنك العالم مالم يكن عالمًا بتواضع ما يعلم . ان غلبت على الكلام وقنًا فلا تغلبن على السكوت فانه لعله يكون المراء واعرفه ولا يمنعنك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة واعلم ان الماري هو الذي لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فان زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه يخاصم الى غير قاض وانما قاضيه الذي لا يعدو بالخصومة الا اليه عدل صاحبه وعقله فان آنس او رجا من صاحبه عدلاً يقضي به على نفسه فقد اصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان مماريًا

ان استطعت ان لا تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا وانت محتجن عنه بعض ذلك التماسًا لفضل الفعل على القول واستعدادًا لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان احكام هذه الخلة من غوائب الخلال

اذا تراكمت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتها بالروغان منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها وان الصبر عليها هو يخففها وان الضجر منها هو يراكمها عليك فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض اصحاب الاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدر ذلك بنفسه تكديرًا يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم واحدًا منهما فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا يعظمن عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر اذا اعملت الرأي معمله وجعلت شغلك في حقه

اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في تكلف رضى الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحشود

اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان عيّ وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك خورًا ولا بيانك هذرًا ولا علمك جهلاً فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقًا بان

تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجباً لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك فازدجر عن العود فان التعجب من غير عجيب سخف شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود

اياك والاخبار الرائعة وتحفظ منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق ومزراة بالرأي فان استطعت الاّ تخبر بشيء الا وانت به مصدق وألاّ يكون تصديقك الا ببرهان فافعل

ولا تقل كما يقول السفهاء أخبر بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع وان السفهاء اكثر من هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعياً وحاملاً كان ما تعي وتحمل عن العامة اكثر مما يخترع المخترع باضعاف

انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتسخو نفسك عما اعتاص مما قبله غير معاتب ولا مستبطيء ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضي بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل ما تتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمروءة

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما اتى به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تذمه وتمثله فليس ذلك لك

لا تصاحبن احداً وان استأنست به اخا قرابة او اخا مودة ولا والداً ولا ولداً الا بمروة فان كثيراً من اهل المروة قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يصحبوا كثيراً من الخلصاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروة ووقارها احدث له في قلبه رقة شأن وخفة منزلة

لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأي ولا تجترئن على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك على ان يتعقبوا الكلمة بعد ما تُنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الاخلاق

لا يعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالاً ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين والدنيا ولكن اذا أكرمت على دين او مروءة فذلك فليعجبك فان المروءة لا تزايلك في الدنيا والدين لا يزايلك في الآخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت أمن قتل في القتال مقبلاً اكثر ام من قتل مدبراً وانظر أمن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو اليك نفسك بطلبته ام من يطلب اليك بالشره

اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكرٌ بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بك في مواطن المحاماة لم يحفل بما تركت مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك ان لا تذكره الا حيث يضره وألاّ تعديسير الضرّ ضرراً

اعلم ان الرجل قد يكون حليماً فيحمله الحرص على ان يقال جليدٌ والمخافة ان يقال مهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتاً (١) فيحمله الحرص على ان يقال لسنٌ والمخافة من ان يقال عيٌّ على ان يقول في غير موضعه فيكون هذراً فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله

اذا بدهك امران لا تدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى

ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك

لا تجالس امرءاً بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعيّ بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف وغمك اياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عادوه ونصبوا له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى انّ كثيراً من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به . ليعلم صاحبك انك حريصٌ على صاحبه واياك ان عاشرك امروءٌ ورافقك ان لا يرى منك باحد من اصحابه واخدانه رأفة فان ذلك يأخذ من القلوب مأخذاً وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعاً من لطفك به بنفسه

(١) الزميت كاميروسكيت الحكيم الساكن القليل الكلام كالصميت

انق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق و يشكر للمكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيمتعض (١) من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في قلبه ذلك القول خطأ تخاف ان يُعقد عليه او مضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة · واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتاً فان الصمت يدعوها اليك وناطقاً بالحسنى فان المنطق الحسن يزيد في ود الصديق و يسل سخيمة (٢) الوغر

واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي المودة اذا لم يخالط ذلك بأوٌ (٣) ولا عُجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول · واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غررٌ لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيا الحزمة ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعذلاً تقول : انت فعلت هذا بي وانت امرتني ولولا انت ولا جرم لا اطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت انت المشير فعمل برأيك او ترك فبدا صوابك فلا تمتنّ ولا تكثرنّ ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرراً تقول : الم اقل لك الم افعل فان هذا مجانب لادب الحكماء

اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجن صواب ما تأتي به و يذهب بهجته و يزري بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يفضي اليك بذات نفسه · ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التي انت جدير بتركها اذا حدث الرجل حديثاً تعرفه ألا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتى كأنك تظهر للناس بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك ان تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من ابواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة

واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة او الفصاحة

---

(١) امتعض من الشيء غضب منه وشق عليه (٢) السخيمة الضغن والحقد والوغر شدة الغيظ (٣) البأو الكبر والفخر

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الالقاء تدعو اليك ما تتقي ان رأيت نفسك تصاغرت اليها(١) الدنيا ودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء(٢) وتغير نفس عند ما اعجزك من الدنيا وغضب منك عليها مما التوى عليك منها ولو تمت على رفضها وامسكت عن طلبها اوشكت ان ترى من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول باضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها

اعرف عورتك واباك ان تعرّض باحد فيما شاركها واذا ذكرت من احد خليقته فلا تفاضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولا تلجّ كل الالحاح وليكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب . واذا كنت في جماعة قوم ابداً فلا تعمن جيلاً من الناس اوامة بشتم ولا ذم فانك لا تدري لعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم . ولا تذمن مع ذلك اسماً من اسماء الرجال او النساء بان تقول: ان هذا لقبيح من الاسماء فانك لا تدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك في بعض اسماء الاهلين والحرم ولا تستصغرن من هذا شيئاً فكله يجرح في القلب وجرح اللسان أشد من جرح اليد اعلم ان الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم وكل ذلك ابين عند سامعيه من وضح الصبح فلا تكونن من ذلك في غرور ولا تجعلن نفسك من اهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان رأس ما أعظمه عندي صغر الدنيا في عينه . كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤونة ولا يستخف له رأياً ولا بدناً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذّ(٣) القائلين كان يُرى متضعفاً مستضعفاً(٤) فاذا جاء الجد فهو الليث عادياً . وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً وكان لا يلوم احداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره . وكان لا يشكو وجعاً الا الى من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة لها جميعاً وكان لا يتبرّم(٥) ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بجيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

---

(١) تصاغر اليه الشيء صار صغيراً عنده (٢) والاستخذاء الخضوع (٣) بذهم سبقهم وغلبهم (٤) استضعفه وتضعفه عده ضعيفاً كضعفه (٥) برم وتبرّم تضجر

يتيمة ثانية

لابن المقفع

وقعت شبهة لبعض اهل العلم فيما اذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبلُ هي اليتيمة بعينها ام هي يتيمة ثانية لابن المقفع ويزول هذا التناقض اذا لوحظ ما قاله امام المتكلمين ابو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث واربعمائة فانه ذكر في كتابه اعجاز القرآن ان الدرة اليتيمة كتابان احدهما يتضمن حكماً منقولة والآخر في شيء من الديانات . غير انه يبقى هناك اشكال في انه ليس في احدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات كما قال الباقلاني . واذا رضينا بالظن فنقول ان هذا الاسم وضعه اناس لبعض رسائل ابن المقفع ومن هنا نشأ الاشتباه فعددها الناظرون . ويبعد ان يقال ان ابن المقفع سمى الرسالتين معاً باسم واحد لمخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة . ولو قلنا انه سمى احدى الرسائل فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال . اما الرسالة الثانية فمنقولة عن كتاب المنثور والمنظوم المحفوظ في دار الكتب المصرية لمؤلفه ابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور من ابناء خراسان ولد كما جاء في فهرستها سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ وهاك ما اورده ولم نحذف منه الا بعض جمل اشرنا اليها بحرف (ف) لانها محرفة جداً لم نهتد الى وجه الصواب فيها قال ابوالفضل احمد بن ابي طاهر : ومن الرسائل المفردات اللواتي لا نظير لها ولا اشباه وهي اركان البلاغة ومنها اسنق البلغاء لانها نهاية في المختار من الكلام وحسن التأليف والنظام الرسالة التي لابن المقفع وهي اليتيمة فان الناس جميعاً مجمعون انه لم يعبر احد عن مثلها ولا تقدمها من الكلام شيء قبلها ومن فصولها قوله في صدرها ولم نكتبها على تمامها لشهرتها وكثرتها في ايدي الرواة فمن فصولها قوله في صدرها

وقد اصبح الناس الا قليلاً ممن عصم الله مدخولين منقوصين فقائلهم باغ وسامعهم عياب وسائلهم متعنت ومجيبهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه ومصطبر للحق مما يسمع ومستشارهم غير مأمون على الغش والحسد وان يكون مهتماً كالمستر مشيعاً للفاحشة مؤثراً للهوى والامين منهم غير متحفظ من ائتمان الخونة والصدوق غير محترس من حديث الكذبة وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة يتقارضون الثناء ويترقبون الدول ويعيبون بالهمز يكاد احزمهم رأياً يلفته عن رأيه ادنى الرضا وادنى السخط ويكاد يكون امتنهم عوداً ان تستخره الكلمة وتنكره اللحظة . وقد ابتليت ان اكون قائلاً وابتليتم ان تكونوا سامعين ولا خير في القول الا ما انتفع به ولا ينتفع الا بالصدق ولا صدق الا مع الرأي ولا رأي الا في موضعه وعند الحاجة اليه فان خير القائلين من لم يكن الباطل غايته ثم لزم القصد والصواب وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سمعة ولا رياء ولم يتخذ ما يسمع عوناً على دفع الهدى ولا بلغة الى حاجة دنيا فان اجتمع للقائل والسامع لم ينق القائل من الناس ثقة وقبولاً على ما يقوله ويرزق السامع التعاضد بما يسمع في امر دنياه وقد صلحت نياتهما في غير ذلك فعسى ذلك ان يكون من الخير الذي يبلغه الله عباده ويعجل لهم من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من حسنة الآخرة كما ان المريد بكلامه ان يعجب الناس قد يجتمع عليه حرمان ما طلب مع سوء النية وحمل الوزر . وقد وافقتم من مسارعة فيما سألتموني فطمعاً في ان ينفع الله بذلك من يشاء فانه ما يشاء يقع .

اما سؤالكم عن الزمان فان الزمان الناس . والناس رجلان والٍ ومولى عليه . والازمنة اربعة على اختلاف حالات الناس فخيار الازمنة ما اجتمع فيه صلاح الراعي والرعية فكان الامام مؤدياً الى الرعية حقهم في الرد عنهم والغيظ على عدوهم والجهاد من وراء بيضتهم والاختيار لحكامهم وتولية صلحائهم والتوسعة عليهم في معايشهم وافاضة الامن فيهم والمتابعة في الخلق لهم والعدل في القسمة بينهم والتقويم لاودهم والاخذ لهم بحقوق الله عز وجل عليهم وكانت الرعية مؤدية الى الامام حقه في المودة والمناصحة والمخالطة وترك المنازعة في امره والصبر عند مكروه طاعته والمعونة له على انفسهم والشدة على من اخل بحقه وخالف امره غير مؤثرين في ذلك آباءهم ولا ابناءهم ولا لابسين عليه احداً . فاذا اجتمع ذلك في الامام والرعية تم صلاح الزمان وبنعمة الله تتم الصالحات ثم ان الزمان الذي يليه ان يصلح الامام نفسه ويفسد الناس ولا قوة بالامام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم في صلاح انفسهم على ان يبلغ ذات نفسه في صلاحهم وذلك اعظم ما تكون نعمة الله على الوالي

وحجة الله على الرعية بواليهم فبالحري ان يؤخذوا باعمالهم وما اخلقهم ان لا تصيبهم فتنة او عذاب اليم ·

والزمان الثالث صلاح الناس وفساد الوالي وهذا دون الذي قبله فان لولاة الناس يداً في الخير والشر ومكاناً ليس لاحد وقد عرفناه فيما يعتبر به ان الف رجل كلهم مفسد واميرهم مصلح اقل فساداً من الف رجل كلهم مصلح وامبرهم مفسد · والوالي الى ان يصلح ادبه الرعية اقرب من الرعية الى ان يصلح الله بهم الوالي · وذلك لانهم لا يستطيعون معاتبته وتقويمه مع استطالته بالسلطان والحمية التي تعلوه · وشر الزمان ما اجتمع فيه فساد الوالي والرعية (ف) فقولي في هذا الزمان انه الا يكن خير الازمان فليس على واليكم ذنب والا يكن شر الازمان فليس لكم حمد · ذلك غير انا بحمد الله قد اصبحنا نرجو لانفسنا الصلاح بصلاح امامنا ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا قد رأينا حظه من الله عز وجل في التثبت والعصمة فلم يبرح الله يزيده خيراً ويزيد به رعيته مذ ولاه فعندنا من هذا وثائق من عبر وبينات ونحتسب من الله عز وجل ان لا يزال امامنا يسارع في مرضاة ربه بالاستصلاح لرعيته والصبر على ما يستنكر منهم وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم حتى يقلب الله له بصلاحه قلوبهم ويفتح له اسماعهم وابصارهم فيجمع ألفتهم ويقوم اودهم ويلزمهم مراشد امورهم وتتم نعمة الله على امير المؤمنين بان يصلح له وعلى يديه فيكونوا رعية خير راع ويكون راعي خير رعية ان شاء الله وبه الثقة ·

والذي يحمد من امير المؤمنين انا ذاكر ما تيسر منه (ف) وقلما نلقى من اهل العقل والمعاينة منكراً لنعمة الله باميرالمؤمنين على المسلمين (ف) ومن اشد جهلاً واقطع عذرا ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية نعوذ بالله ان نكون من الذين لا يعقلون فتفهموا ما انا ذاكر لكم وتدبروه بالحق والعدل فان المرء ناظر باحدى عيون ثلث وهما الغاشتان والصادقة وهي التي لا تكاد توجد · عين مودة تريه القبيح حسناً · وعين شنآن تريه الحسن قبيحاً · وعين عدل تريه حسنها حسناً وقبيحها قبيحاً · فتفكروا فيما جمع الله لامير المؤمنين في معدنه وفي سيرته وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل ان يبتغي فيه المغمز والمقال فلعمري ان الشيطان من اهواء الناس والسنتهم في الامر لمصيب وان له لمستراحا حين يستوفي أمنيته ويصدق عليهم ظنه ويوحي اليهم بكايده فيجعل الله كيده ضعيفاً وحزبه مغلوباً وجعله واياهم نصيباً لجهنم من اجزائه المقسومة لابوابها وحطبها ووقودها وحصبها ليعدّ لما فمن كان سائلا عن حق امير المؤمنين في معدنه فان اعظم حقوق الناس منزلة واكرمها نسبة واولاها بالفضل حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وامام

الهدى ووارث الكتاب والنبوة والمهيمن عليهما وخاتم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ثم هو باعثه يوم القيامة مقاماً محموداً شرع الله به دينه واتم به نوره على عهده ومحق به رؤوس الضلالة وجبابرة الكفر وخوله الشفاعة وجعله في الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم

حكم لابن المقفع

اليك رسالة اخرى من كلام ابن المقفع محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة كتبها علي بن احمد الحلبي سنة ٨٤٤ هـ وقال في اولها انها كتاب الادب وذكر انها كتبت برسم خزانة المقر الاشرف الكريم العالي الجمالي ناظر الخواص الشريفة بالممالك الاسلامية عظم الله شانه وصانه عما شانه .

قال عبدالله بن المقفع رحمه الله تعالى :

عمل البر خير صاحب . احق ماصان الرجل امر دينه . الآلف للدنيا مغتر . من الزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل . المغبون من طلب ثواب الآخرة في الدنيا . القلب اسرع تقلباً من الطرف . احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدي الى التوبة . الاصرار وعاء للذنوب . الجواد من بذل ما يضن به . المتكلف لما لا يعنيه متعرض لما يكره . الفكر مفتاح القلب . الاستماع اسلم من القول . كمون الحقود كمون النار في العود . اكرم الاخلاق التواضع . التواضع يورث المحبة . الكبر مقرون به سوء الظن . من عذب لسانه كثر اخوانه . من استبعد الآخرة ركن الى الدنيا . سرور الدنيا كاحلام النائم . المغبون من طلب الدنيا بعمل الآخرة . المصيبة العظمى الرزية في الدين . سرور الدنيا مخوف المغبة . من اهلك نفسه في مرضاة غيره عظمت جنايته . انفع الكنوز العمل الصالح . احق الناس بالبر اعلمهم بالعاقبة . من ابصر العاقبة فآثرها أمن الندامة . الوالي من وزرائه بمنزلة الرأس في اعضائه . من عرف ثمار الاعمال كان حقيقاً ان لا يغرس مرًا . أهن دنيا بائدة تستكمل كرامة . ابق الجروح مضضاً جرح الآثام . إئت الى الناس ما تحب ان يؤتى اليك . استصغر المشقة اذا ادت الى منفعة . رأس البر الورع . اطلب الرحمة بالرحمة . خير الاعمال ما دبر بالتقوى . بالحزم يتم الظفر . من احب التزكية تعرض للضحكة . الدنيا نوم نائم والدولة حلم حالم . من سالم الناس ربح السلامة ومن تعدى عليهم كسب الندامة . بادر لعمل الخير اذا امكنك . من حصن سره امن ضرر ذلك . الدنيا قد تدرك بالجهل كما تدرك بالعقل . احسن العمل الصالح ما كان بصدق النية . خسر من انفق حياته في غير حقها . طوبى لمن ترك دنياه لآخرته . من الحق على السلطان رفع ذي الفضيلة وان يسد فاقته . لا تحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزاً . بالرسول يعرف قدر المرسل . رفق الرسول يلين القلب الصعب . لا رأي لمن انفرد برأيه . من ترك رأي ذي النصيحة اتباعاً لما يهوى استوخم العاقبة . المشاورة اوثق ظهير . المستشار مؤتمن . اعتبر عقل الوالي باصابته

موضع اصحابه . من صحب السلطان لم يزل مروّعاً . كثرة اعوان السوء مضرة بالعمل .
(بالحزم يتم الظفر) . باجالة الرأي تظفر بالحزم . استوجب الطاعة من ذوي الرأي بالمودة .
الصنيعة عند الكفور لا تثمر الا مرّا . الملك الحازم من استمسك برأي الحزمة من ذوي الرأي .
لا صلاح لرعية واليها فاسد . خير مستفاد الهدى . اكثر محادثة من يصدقك عن عيوبك .
حلية الملوك وزراؤهم . اكمل النصحاء من لم يكتم صاحبه نصيحة وان استقلها . فساد الوالي اضرّ
بالرعية من جدب الزمان . استعن بالصمت على اطفاء الغضب . لا تحنين على نفسك عداوة
وبغضة اتكالاً على ما عندك من العمل والقوة والمنعة . كن في الحرص على معرفة عيبك
بمنزلة عدوك في معرفة ذلك . البصير من عرف ضره من نفعه . (التواضع يورث المحبة .
اكرم الاخلاق التواضع . الكبر مقرون به سوء الظن) ربما تحولت البغضاء مودة والمودة
بغضاء . قرب الصالحين داع للصلاح . (احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم) . المال عونٌ
قويٌّ على المروءة وانفاقه مهلكة المروءة . من عدم ماله انكره اهله . خير الملوك من يرى
انه لا يضبط ملكه الا بالعدل بين رعيته واضيمهم الفظّ المتهاون . لا تغتر الاقوياء بفضل
قوتهم على الضعفاء . الضعيف المحترس من العداوة اقرب الى السلامة من القوي المغتر .
اخوف الاحقاد احقاد الملوك . ابصر الوزراء من بصر صاحبه عيبه بالامثال . من قلّ
كلامه حمد عقله . من عرف قدره قل افراطه . أحسن والدولة لك يحسن اليك والدولة
عليك . (كمون الحقود ككمون النار في العود) من حرم العقل رزيء دنياه وآخرته .
آفة العقل العجب . الهمّ مرض العقل . احذر صولة اللئيم اذا شبع . احسن المدح اصدقه .
الاحسان يقطع اللسان .

رسالة ابن المقفع في الصحابة

اما بعد اصلح الله امير المؤمنين وأتم عليه النعمة والبسه المعافاة والرحمة فان امير المؤمنين حفظه الله يجمع مع علمه المسألة والاستماع كما كان ولاة الشر يجمعون مع جهلهم العجب والاستغناء ويستوثق لنفسه بالحجة ويتخذها على رعيته فيما يلطف له من التفحص عن امورهم كما كان اولئك يكتفون بالدعة ويرضون بدحوض الحجة وانقطاع العذر في الامتناع ان يجتري عليهم احد برأي او خبر مع تسليط الديان . وقد عصم الله امير المؤمنين حين اهلك عدوه وشفى غليله ومكن له في الارض وآتاه ملكه وخزائنها من ان يشغل نفسه بالتمتع والتفتيش والتأثل والاخلاد وان يرضى ممن آوى بالمتاع به وقضاء حاجة النفس منه واكرم الله امير المؤمنين باستهانة ذلك واستصغاره اياه وذلك من ابين علامات السعادة وانجح الاعوان على الخير . وقد قص الله عز وجل علينا من نبإ يوسف بن يعقوب انه لما تمت نعمة الله عليه وآتاه الملك وعلمه من تأويل الاحاديث وجمع له شمله واقرّ عينه بابويه واخوته اثنى على الله عز وجل بنعمته ثم سلا عما كان فيه وعرف ان المرت وما بعده هو اولى فقال: توفني مسلماً والحقني بالصالحين .

وفي الذي قد عرفنا من طريقة امير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على تناوله بالخبرة فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه ولا يزيد صاحب الرأي على ان يكون مُخبراً او مذكراً . وكلٌّ عند امير المؤمنين مقبول ان شاء الله . مع ان مما يزيد ذوي الالباب نشاطاً الى إعمال ذوي الرأي فيما يصلح الله به الامة في يومها او غابر دهرها الذي اصبحوا قد طمعوا فيه (؟) ولعل ذلك ان يكون على يدي امير المؤمنين فان مع الطمع الجدّ ومع اليأس القنوط . وقلما ضعف الرجاء الا ذهب الرخاء . وطلب المويس عجز وطلب الطامع حزم . ولم ندرك الناس نحن وآباؤنا الا وهم يرون فيها خللاً لا يقطع الرأي ويمسك بالافواه من حال والٍ لم يهمه الاصلاح او اهمه ذلك ولم يشق فيه بفضل رأي او كان ذا رأي ليس مع رأيه صولٌ بصرامة او حزم او كان ذلك استئثاراً منه على الناس بنشب او قلة تقدم لما يجمع او يقسم او حال اعوان ينيل بهم الولاة ليسوا على الخير باعوان وليس له الى اقتلاعهم سبيل لمكانهم من الامر وتخافة الدول والفساد ان هو هاجهم او انتقص ما في ايديهم او حال رعية مئزرة ليس لها من امرها النصف في نفسها فان أُخذت بالشدة حميت وان أُخذت باللين طغت . وكل هذه الخلائق قد طهر الله منها امير المؤمنين فآتاه الله ما آتاه في نيته ومقدرته وعزمه ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منه جهالهم فضلاً

عن علمائهم . وصنع الله لامير المؤمنين الطف الصنع في اقتلاع من كان يشركه في امره على غير طريقته ورأيه حتى اراحه الله وآمنه منهم بما جعلوا من الحجة والسبيل على انفسهم وما قوى الله عليه امير المؤمنين في رأيه واتباعه مرضاته واذل الله لامير المؤمنين رعيته بما جمع له من اللين والعفو فان لان لاحد منهم ففي الانخان (؟) له شهيد على ان ذلك ليس بضعف ولا مصانعة وان اشتد على احد منهم ففي العفو شهيد على ان ذلك ليس بعنف ولا خرق مع امور سوى ذلك يكفّ عن ذكرها كراهة ان يكون كأنا نصبنا المدح . فما اخلق هذه الاشياء ان تكون عتاداً لكل جسيم من الخير في الدنيا والآخرة واليوم والغد والخاصة والعامة . وما ارجانا لان يكون امير المؤمنين بما اصلح الله الامة من بعده اشد اهتماماً من بعض الولاة بما لا يصلح رعيته في سلطانه وما اشد ما قد استبان لنا ان امير المؤمنين اطول بامر الامة عناية ولها نظراً وتقديراً من الرجل منا بخاصة اهله ففي دون هذا ما يثبت الامل وينشط للعمل ولا قوة الا بالله ولله الحمد وعلى الله التمام .

فمن الامور التي يُذكر بها امير المؤمنين امتع الله به امر هذا الجند من اهل خراسان فانهم جند لم يدرك مثلهم في الاسلام وفيهم منعة بها يتم فضلهم ان شاء الله . اما هم فاهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس وعفاف نفوس وفروج وكفّ عن الفساد وذل للولاة فهذه حال لا نعلمها توجد عند احد غيرهم . واما ما يحتاجون فيه الى المنعة من ذلك تقويم ايديهم ورأيهم وكلامهم فان في ذلك اليوم اختلاطاً من رأس مفرط غالٍ وتابع متجبر شاكٍ . ومن كان انما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة فهو كراكب الاسد الذي يوجل من رآه والراكب اشدّ وجلاً . فلو ان امير المؤمنين كتب لهم اماناً معروفاً بليغاً وجيزاً محيطاً بكل شيء يجب ان يقول فيه ويكفوا عنه بالغاً في الحجة قاصراً عن الغلو يحفظه رؤساؤهم حتى يقود به دهماءهم ويتعهد به منهم من لا يؤبه له من عرض الناس لكان ذلك ان شاء الله لرأيهم صلاحاً وعلى من سواهم حجة وعند الله عذراً . فان كثيراً من المتكلمين من قواد امير المؤمنين اليوم انما عامة كلامهم فيما يؤمر الامر ويرغم الرغم ان امير المؤمنين لو امر الجبال ان تسير سارت ولو امر ان تستدير القبلة بالصلاة فعل ذلك وهذا كلام قلما (يرتضيه) من كان مخالفاً وقلما يرد في سمع السامع الا احدث في قلبه ريبة وشكاً . والذي يقول اهل القصد من المسلمين هو اقوى للامر واعز للسلطان واقمع للمخالف وارضى للموافق واثبت للعذر عند الله عزّ وجل .

فانا قد سمعنا فريقاً من الناس يقولون لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق . بنوا قولهم هذا بناء معوجاً فقالوا ان امرنا الامام بمعصية الله فهو اهل ان يُعصى وان امرنا الامام بطاعة الله

فهو اهل ان يطاع . فاذا كان الامام يعصى في المعصية وكان غير الامام يطاع في الطاعة فالامام ومن سواه على حق الطاعة سواء . وهذا قول معلوم يجده السلطان ذريعة الى الطاعة والذي فيه أمنيته لئلا يكون للناس نظائر ولا يقوم بامرهم امام ولا يكون على عدوهم منهم ثقل .

سمعنا آخرين يقولون بل نطيع الائمة في كل امورنا ولا نفتش عن طاعة الله ولا معصيته ولا يكون احد منا عليهم حسيبا هم ولاة الامر واهل العلم ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والتسليم . وليس هذا القول باقل ضرراً في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول بالذي قبله لانه ينتهي الى الفظيع المتفاحش من الامر في استحلال معصية الله جهاراً صراحاً . وقال اهل الفضل والصواب : قد اصاب الذين قالوا : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولم يصيبوا في تعطيلهم طاعة الائمة وتسخيفهم اياها واصاب الذين اقروا بطاعة الائمة لما حققوا منها ولم يصيبوا ما ابهموا من ذلك في الامور كلها فاما اقرارنا فانه لا يطاع الامام في معصية الله فانما ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليها سلطاناً . ولو ان الامام نهى عن الصلاة والصيام والحج او منع الحدود واباح ما حرم الله لم يكن له في ذلك امر .

فاما اثباتنا للامام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره فان ذلك في الرأي والتدبير والامر الذي جعل الله ازمته وعراه بايدي الائمة ليس لاحد فيه امر ولا طاعة من الغزو والقفول والجمع والقسم والاستعمال والترك والحكم بالرأي فيما لم يكن فيه اثر وامضاء الحدود والاحكام على الكتاب والسنة ومحاربة العدو ومخادعته والاخذ للمسلمين والاعطاء عليهم . وهذه الامور واشباهها من طاعة الله عز وجل الواجبة وليس لاحد من الناس فيها حق الا الامام ومن عصى الامام فيها او خذله فقد اوتغ نفسه . وليس يفترق هذان الامران الا ببرهان من الله عز وجل عظيم . وذلك ان الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين الدين والعقل ولم تكن عقولهم وان كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها بالغة معرفة الهدى ولا مبلغة اهلها رضوان الله الا ما اكمل لهم من النعمة بالدين الذي شرع لهم وشرح به صدر من اراد هداه منهم ثم لوان الدين جاء من الله لم يغادر حرفاً من الاحكام والرأي والامر وجميع ماهو وارد على الناس وجار فيهم مذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه الا جاء فيه بعزيمة لكانوا قد كلفوا غير وسعهم فضيق عليهم في دينهم وآتاهم مالم تسع اسماعهم لاستماعه ولا قلوبهم لفهمه ولحارت عقولهم والبابهم التي امتن الله بها عليهم ولكانت لغواً لا يحتاجون اليها في شيء ولا يعلمونها الا في امر قد اتاهم به تنزيل ولكن الله من عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعه رأيهم كما قال عباد الله المنتون : ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

ثم جعل ما سوى ذلك من الامر والتدبير الى الرأي وجعل الرأي الى ولاة الامر ليس للناس في ذلك الامر شيء الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة والنصيحة بظهر الغيب . ولا يستحق الوالي هذه الطاعة الا باقامة العزائم والسنن مما هو في معنى ذلك . ثم ليس من وجوه القول وحده يلتمس فيه ملتمس اثبات فضل اهل بيت امير المؤمنين على اهل بيت (من سواه) وغير ذلك مما يحتاج الناس الى ذكره الا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف مما هو ابلغ مما يغلو فيه الغالون فان الحجة ثابتة والامر واضح بحمد الله ونعمته .

ومما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولي احداً منهم شيئاً من الخراج فان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة ولم يزل الناس يتحامون ذلك منهم ويخونه عنهم لانهم اهل ذاك ودعوى بلاء واذا خلا بالدراهم والدنانير اجترأ عليهما واذا وقع في الخيانة صار كل امر مدخولا نصيحته وطاعته فان حيل بينه وبين رفعته امرضته الحمية مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وعقوبة وهوان وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف . ومما ينظر فيه من امرهم ان منهم من المجهولين من هو افضل من بعض قادتهم فلو التمسوا وصنعوا كانوا عدة وقوة وكان ذلك صلاحاً لمن فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة .

ومن ذلك تعهد ادبهم في تعليم الكتاب والتفقه في السنة والامانة والعصمة والمباينة لاهل الهوى وان يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب زي المترفين وشكلهم مثل الذي يأخذ به امير المؤمنين في امر نفسه . ولا يزال يطلع من امير المؤمنين ويخرج منه القول ما يعرف مقته للاتراف والاسراف واهلهما ومحبته القصد والتواضع ومن اخذ بهما حتى يعلموا ان معروف امير المؤمنين محظور عمن يكنزه بخلاً ان ينفقه سرفاً في العطر واللباس والمغالاة بالنساء والمراتب فان امير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهة المعروف والمؤاساة . ومن ذلك امر ارزاقهم ان يوقت لهم امير المؤمنين فيها وقتاً يعرفونه في كل ثلاثة اشهر او اربعة او ما بدا له وان يعلم عامتهم العذر الذي في ذلك من اقامة ديوانهم وتحمل اسمائهم ويعلموا الوقت الذي يأخذون فيه فينقطع الاستبطاء والشكوى . فان الكلمة الواحدة تخرج من احدهم في ذلك اهل ان تستعظم فان باب ذلك جدير ان يحسم مع ان امير المؤمنين قد علم كثرة ارزاقهم وكثرة المال الذي يخرج لهم وان هذا الخراج ان يكن رائجاً لغلاء السعر فانه لا بد من الكساد والكسر وان لكل شيء درة وغزارة وانما دروز خراج العراق بارتفاع الاسعار وانما يحتاج الجند اليوم الى ما يحتاجون اليه من كثرة الرزق لغلاء السعر فمن حسن التقدير ان شاء الله ان لا يدخل على الارض ضرر ولا بيت المال نقصان من قبل الرخص الا دخل ذلك عليهم في ارزاقهم مع انه ليس عليهم في ذلك

نقصان لانهم يشترون بالقليل مثل ما كانوا يشترون بالكثير . فاقول لو ان امير المؤمنين ما خلا شيئاً من الرزق فيجعل بعضه طعاماً ويجعل بعضه علفاً فاعطوه باعيانهم فان قومت لهم قيمة مخرج ما خرج على حسابه قيمة الطعام والعلف لم يكن في ارزاقهم لذلك نقصان عاجل يستنكرونه وكان ذلك .. نزالهم حمل العدو وانصاف بيت المال من انفسهم فيما يستبطئون مع انه ان زاد السعر اخذوا بحصتهم من فضل ذلك . ومن جماع الامر وقوامه باذن الله ان لا يخفى على امير المؤمنين شيء من اخبارهم وحالاتهم وباطن امرهم بخراسان والعسكر والاطراف وان يحتقر في ذلك النفقة ولا يستعين فيه الا بالثقات النصاح فان ترك ذلك واشباهه احزم بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة فتصير جنة للجهالة والكذب

ومما يذكر به امير المؤمنين امتع الله به امر هذين المصرين فانهم بعد اهل خراسان اقرب الناس الى ان يكونوا شيعته ومعينيه مع اختلاطهم باهل خراسان وانهم منهم وهامتهم وانما ينظر امير المؤمنين منهم .. صدق ولرابطتهم او ما اراد من امورهم معرفته استثقال اهل خراسان ذلك لهم من امرهم مع الذي في ذلك من جمال الامر واختلاط الناس بالناس العرب بالعجم واهل خراسان بالمصرين .

ان في اهل العراق يا امير المؤمنين من الفقه والعفاف والالباب والالسنة شيئاً لا يكاد يشك انه ليس في جميع من سواهم من اهل القبلة مثله ولا مثل نصفه فلو اراد امير المؤمنين ان يكتفي بهم في جميع ما يلتمس له اهل الطبقة من الناس رجونا ان يكون ذلك فيهم موجوداً . وقد ازرى باهل العراق في تلك الطبقة ان ولاة العراق فيما مضى كانوا اشرار الولاة وان اعوانهم من اهل امصارهم (كذلك) فحمل جميع اهل العراق على ما ظهر من اولئك الفسول وتعلق بذلك اعداؤهم من اهل الشام فنعوه عليهم ثم كانت هذه الدولة فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والعمال الا بالاقرب فالاقرب مما دنا منهم او وجدوه بسبيل شيء من الامر فوقع رجال مواقع شائنة لجميع اهل العراق حيث ما وقعوا من صحابة خليفة او ولاية عمل او موضع امانة او موطن جهاد وكان من رأي اهل الفضل ان يقصدوا حتى يلتمسوا فابطا ذلك بهم ان يعرفوا وينتفع بهم وان كان صاحب السلطان لمن لم يعرف الناس قبل ان يليهم ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ولم يستثبت في استقصائهم فزالت الامور عن مراكزها ونزلت الرجال عن منازلها لان الناس لا يلقونه الا متصنعين باحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام غير ان اهل النقص هم اشد تصنعاً واحلى السنة وارفق تلطفاً للوزراء او تحملاً لان يثنى عليهم من وراء وراء . فاذا آثر الوالي ان يستخلص رجلاً واحداً ممن ليس لذلك اهلاً دعا الى نفسه جميع ذلك الشرح وطمعوا فيه واجترأوا عليه وتوردوه وزحموا

على ما عنده واذا رأى ذلك اهل الفضل كفوا عنه وباعدوا منه وكرهوا ان يروا في غير موضعهم او يزاحموا غير نظرائهم ٠

ومما ينظر امير المؤمنين فيه من امر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امراً عظيماً في الدماء والفروج والاموال فيستحل الدم والفرج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية اخرى غير انه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرمهم يقضي به قضاة جائر امرهم وحكمهم مع انه ليس مما ينظر في ذلك من اهل العراق واهل الحجاز فريق الا قد لج بهم العجب بما في ايديهم والاستخفاف ممن سواهم فالمهم ذلك في الامور التي ينتفع بها من سمعها من ذوي الالباب ٠

اما من يدعي لزوم السنة منهم فيجعل ما ليس له سنة سنة حتى يبلغ ذلك به الى ان يسفك الدم بغير بينة ولا حجة على الامر الذي يزعم انه سنة واذا سئل عن ذلك لم يستطع ان يقول هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او ائمة الهدى من بعده ٠ واذا قيل له اي دم سفك على هذه السنة التي تزعمون قالوا: فعل ذلك عبدالملك بن مروان او امير من بعض اولئك الامراء وانما من يأخذ بالرأي فيبلغ به الاعتزام عن رأيه ان يقول في الامر الجسيم من امر المسلمين قولاً لا يوافقه عليه احد من المسلمين ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وامضائه الحكم عليه وهو مقر انه رأي منه لا يحتج بكتاب ولا سنة ٠ فلو رأى امير المؤمنين ان يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة او قياس ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ويعزم له عليه وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتاباً جامعاً عزما لرجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطإ حكماً واحداً صواباً ورجونا ان يكون اجتماع السير قربة لاجماع الامر برأي امير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر آخر الدهر ان شاء الله ٠

فاما اختلاف الاحكام اما شيء مأثور عن السلف غير مجمع عليه يدبره قوم على وجه ويدبره آخرون على وجه آخر فينظر فيه الى احق الفريقين بالتصديق واشبه الامرين بالعدل ٠ واما رأي اجراه اهله على القياس فاختلف وانتشر ما يغلط في اصل المقايسة وابتدأ امر على غير مثاله ٠ واما الطول ملازمته القياس فان من اراد ان يلزم القياس ولا يفارقه ابداً في امر الدين والحكم وقع في الورطات ومضى على الشبهات وغمض على القبيح الذي يعرفه ويبصره فابى ان يتركه كراهة ترك القياس ٠ وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن فاذا كان ما يقود اليه حسناً معروفاً أخذ به واذا قاد الى القبيح المستنكر ترك لان المبتغي ليس

غير القياس ينبغي ولكن محاسن الامور ومعروفها وما الحق الحق باهله . ولو ان شيئاً مستقيماً على الناس ومنقاداً حيث قيد لكان الصدق هو ذلك اولى ان يعتبر بالمقاييس فانه لو اراد ان يقوده الصدق لم ينقد له . وذلك ان رجلاً لو قال: اتأمرني ان اصدق فلا اكذب كذبة ابداً لكان جوابه ان يقول نعم ثم لو التمس منه قود ذلك فقال: اتصدق في كذا وكذا حتى يبلغ به ان يقول الصدق في رجل هارب استدلني عليه طالب ليظلمه فيقتله لكسر عليه قياده وكان الرأي له ان يترك ذلك وينصرف الى المجمع عليه المعروف المستحسن .

ومما يذكر به امير المؤمنين اهل الشام فانهم اشد الناس مؤونة واخوفهم عداوة وبائقة . وليس يؤاخذهم امير المؤمنين بالعداوة ولا يطمع منهم في الاستجماع على المودة فمن الراي في امرهم ان يختص امير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحاً او يعرف منه نصيحة او وفاء فان اولئك لا يلبثون ان ينفصلوا عن اصحابهم في الرأي والهوى ويدخلوا فيما حملوا عليه من امرهم فقد رأينا اشباه اولئك من اهل العراق الذين استدخلهم اهل الشام وليس احد في امر اهل السلم على القصاص (؟) حرموا كما كانوا يحرمون الناس وجعل فيئهم الى غيرهم كما كان في غيرهم اليهم ونحوا عن المنابر والمجالس والاعمال كما كانوا ينحون عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع ومنعت منهم المرافق كما كانوا يمنعون الناس ان ينالوا معهم اكلة من الطعام الذي يصنعه امراؤهم للعامة . فان رغب امير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما اشبهها فلم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط كان العدل ان يقتصر بهم على فيئهم فيجعل ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقات وما خرج من مصر فضلاً عن حقوق اهل المدينة ومكة بان يجعل امير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم او يزيد او ينقص غير انه يأخذ اهل القوة والغناء وخفة المؤونة والعفة في الطاعة ولا يفضل احداً منهم على احد الا على خاصة معاومة ويكون الديوان كالغرض المستأنف ويأمر لكل جند من اجناد اهل الشام بعدة من العيال يقترعون عليها ويسوي بينهم فيما لم يكونوا أسوة فيه فيمن مات من عيالاتهم ولا يصنع باحد من المسلمين .

واما ما يتخوف المتخوفون من نزواتهم فلعمري لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم لخلقاء ان يكون لهم نزوات ونزقات ولكنا على مثل اليقين بحمد الله من انهم لم يشركوا بذلك الا انفسهم وان الدائرة لامير المؤمنين عليهم آخر الدهر ان شاء الله . فانه لم يخرج الملك من قوم الا بقيت فيهم بقية يتوثبون بها ثم كان ذلك التوثب هو سبب استئصالهم وتدويخهم .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر اصحابه فان من اولى امر الوالي منه بالتثبت والتحيز

امر اصحابه الذين هم بهاء فنائه وزينة مجلسه والسنة رعيته والاعوان على رأيه ومواضع كرامته والخاصة من عامته فان امر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزارة والكتاب قبل خلافة امير المؤمنين عملاً قبيحاً مفرط القبح مفسداً للحسب والادب والسياسة داعياً للاشرار طارداً للاخيار فصارت صحبة الخليط امراً مخيفاً فطمع فيه الاوغاد وتزهد فيه من كان يرغب فيما دونه حتى اذا التقينا ابا العباس رحمة الله عليه وكنت في ناس من صلحاء اهل البصرة ووجوههم فكنت في عصابة منهم ابوا ان يأتوه فمنهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختياراً للمعصية على سوء الموضع لا يعتذرون في ذلك الا بضياع المكتب والدعوة والمدخل يقولون هذه منزلة كان من هو اشرف من ابنائنا يرغبون فيما هو دونها عند من هو اصغر امراء ولاننا اليوم ولكنها قد كانت مكرمة وحسباً اذ الناس ينظرون ويسأل عنهم فاما اليوم ونحن نرى فلاناً وفلاناً يتفر باسمائهم على غير قديم سلف ولا بلاء حدث فمن يرغب فيها هنا بالامير المؤمنين اكرمك الله اما يصير العدل كله الى تقوى الله عز وجل وانزال الامور منازلها فان الاول قال

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال هم سودوا نصراً وكل قبيلة يُبين عن احلامها من يسودها

وان امر هذه الصحابة قد كان فيه اعاجيب دخلت فيه مظالم . اما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول ما رأينا أعجوبة قط اعجب من هذه الصحابة من لا ينتهي الى ادب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في اهل مصر قد غبر عامة دهره صانعاً يعمل بيده ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء الا انه مكنه من الامر صاغر فاحتوى حيث احب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من ابناء المهاجرين والانصار وقبل قرابة امير المؤمنين واهل بيوتات العرب ويجري عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم وغيره من سروات قريش ويخرج له من المعونة على نحو ذلك لم يضعه بهذا الموضع رغاية رحم ولا فقه في دين ولا بلاء في مجاهدة عدو معروفة ماضية متتابعة قديمة ولا غناء حديث ولا حاجة اليه في شيء من الاشياء ولا عدة يستعد بها وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة الا انه خدم كاتباً او حاجباً فاخبر ان الدين لا يقوم الا به حتى كتب كيف شاء ودخل حيث شاء .

واما المظلمة التي دخلت في ذلك فعظيمة قد خصت قريشاً وعمت كثيراً من الناس وادخلت على الاحساب والمروآت محنة شديدة وضياعاً كثيراً فان في اذن الخليفة والمدخل عليه والمجلس عنده وما يجري على صحابته من الرزق والمعونة وتفضيل بعضهم على بعض في

ذلك حكماً عظيماً على ان الناس في انسابهم واخطارهم و بلاء اهل البلاء منهم وليس ذلك كخواص المعروف ولطيف المنازل او الاعمال التي يختص بها المولى من احب ولكنه باب من القضاء جسيم عام يقضي فيه للماضين من اهل السوابق والمآثر من اهل الباقين واهل البلاء والغناء بالعدل او بما يحال فيه عليهم فان احق المظالم بتعجيل الرفع والتغيير ما كان ضرره عائباً وكان للسلطان شائناً ثم لم يكن في رفعه مؤونة ولا شغب ولا توغير بصدور عامة ولا للقوة ولا اضرار سبب(؟).

واصحابة امير المؤمنين اكرمه الله مزية وفضل وهي مكرمة سنية حرية ان تكون شرفاً لاهلها وحسباً لاعقابهم حقيقة ان تصان وتحظر ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من الخصال ومن رجل له عند امير المؤمنين خاصة بقرابة او بلاء او رجل يكون شرفه ورأيه وعمله اهلاً لمجلس امير المؤمنين وحديثه ومشورته او صاحب نجدة يعرف بها و يستعد لها بجمع مع نجدته حسباً وعفافاً فيرفع من الجند الى الصحابة ورجل فقيه مصلح يوضع بين اظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه او رجل شريف لا يفسد نفسه او غيرها فاما من يتوسل بالشفاعات فانه يكتفي او يكتفى له بالمعروف والبر فيما لا يهجن رأياً ولا يزيل امرأ عن مرتبته ثم تكون تلك الصحابة المخاصة على منازلها ومداخلها الا يكون للكاتب فيها امر في رفع رزق ولا وضعه ولا للحاجب في تقديم اذن ولا تأخيره .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر فتيان اهل بيته و بني ابيه و بني علي و بني العباس فان فيهم رجالاً لو مُتعوا بجسام الامور والاعمال سدوا وجوهاً وكانوا عدة لاخرى .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر الارض والخراج فان اجسم ذلك واعظمه خطراً واشده مؤونة واقربه من الضياع ما بين سهله وجبله ليس لها تفسير على الرساتيق والقرى فليس للعمال امر ينتهون اليه ولا يحاسبون عليه ويحول بينهم و بين الحكم على اهل الارض بعدما يتأنقون لها في العمارة و يرجون لها فضل ما تعمل ايديهم . فسيرة العمال فيهم احدى ثنتين اما رجل أُخذ بالخرق والعنف من حيث وجد وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد واما رجل صاحب مساحة يستخرج ممن زرع ويترك من لم يزرع فيعمر من عمر و يسلم من اخرب مع ان اصول الوظائف على الكور لم يكن لها ثبت ولا علم وليس من كورة الا وقد غيرت وظيفتها مراراً فخفيت وظائف بعضها و بقيت وظائف بعض فلو ان امير المؤمنين اعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والارضين وظائف معلومة وتدوين الدواوين بذلك واثبات الاصول حتى لا يؤخذ رجل الا بوظيفة قد عرفها وضمنها ولا يجتهد في عمارة الا كان له فضلها ونفعها لرجونا ان يكون في ذلك صلاح للرعية وعمارة للارض وحسم

لابواب الخيانة وغشم العمال . وهذا رأي مؤونته شديدة ورجاله قليل ونفعه متأخر . وليس بعد هذا في امر الخراج الا رأي قد رأينا امير المؤمنين اخذ به ولم نره من احد قبله من تخيير العمال وتفقدهم والاستعتاب لهم والاستبدال بهم

ومما نذكر به امير المؤمنين جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك ان يكون من رأي امير المؤمنين اذا سخت نفسه عن اموالها من الصدقات وغيرها ان يختار لولايتها الخيار من اهل بيته وغيرهم لان ذلك من تمام السيرة العادلة والكلمة الحسنة التي قد رزق الله امير المؤمنين واكرمه بها من الرأي الذي هو باذن الله حمى ونظام لهذه الامور كلها في الامصار والاجناد والثغور والكور . ان بالناس من الاستخراج والفساد ماقد علم امير المؤمنين وبهم من الحاجة الى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو اشد من حاجتهم الى اقواتهم التي يعيشون بها . واهل كل مصر وجند او ثغر فقراء الى ان يكون لهم من اهل الفقه والسنة والسير والنصيحة مؤدبون مقومون يذكرون ويبصرون الخطأ ويعظون عن الجهل وينهون عن البدع ويحذرون الفتن ويتفقدون امور عامة من هو بين اظهرهم حتى لايخفى عليهم منها مهم ثم يستصلحون ذلك ويعالجون على ما استنكروا منه بالرأي والرفق والنصح ويرفعون ما اعياهم الى ما يرجون قوته عليهم مأمونين على سير ذلك وتحصينه بصراء بالرأي حين يبدو او اطباء باستئصاله قبل ان يتمكن . وفي كل قوم خواص رجال عندهم على هذا معونة اذا صنعوا لذلك وتلطف لهم وأعينوا على رأيهم وقووا على معاشهم ببعض ما يفرغهم لذلك ويبسطهم له . وخطر هذا جسيم في امرين احدهما برجوع اهل الفساد الى الصلاح واهل الفرقة الى الالفة والامر الآخر ان لا يتحرك متحرك في امر من امور العامة الا وعين ناصحة ترمقه ولايهمس هامس الا واذن شفيقة تصيخ نحوه . واذا كان ذلك لم يقدر اهل الفساد على تربيص الامور وتلقيحها واذا لم تلقح كان نتاجها باذن الله مأمونا .

وقد علمنا علماً لا يخالطه شك ان عامة قط لم تصلح من قبل انفسها ولم يأتها الصلاح الا من قبل خاصتها . وان خاصة قط لم تصلح من قبل انفسها وانها لم يأتها الصلاح الا من قبل امامها . وذلك لان عدد الناس في ضعفتهم وجهالهم الذين لايستغنون برأي انفسهم ولايحملون العلم ولا يقتدمون في الامور فاذا جعل الله فيهم خواص من اهل الدين والعقول ينظرون اليهم ويسمعون منهم اهتمت خواصهم بامور عوامهم واقبلوا عليه بجد ونصح ومثابرة وقوة جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم وسبباً لاهل الصلاح من خواصهم وزيادة فيما انعم الله به عليهم وبلاغاً الى الخير كله . وحاجة الخواص الى الامام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة الى خواصهم واعظم من ذلك . فبالامام يجمع الله امرهم ويكبت اهل الطعن عليهم ويجمع رأيهم وكلمتهم

ويبين لهم عند العامة منزلتهم ويجعل لهم الحجة والايد والمقال على من نكب عن سبيل حقهم . فلما رأينا هذه الامور ينتظم بعضها ببعض وعرفنا من امر امير المؤمنين ما يمثله جمع الله خواص المسلمين على الرغبة في حسن المعاونة والمؤازرة والسعي في صلاح عامتهم طمعنا لهم في ذلك يا امير المؤمنين وطمعنا فيه لعامتهم ورجونا ان لا يعمل بهذا الامر احد الا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه . فان الامر اذا اعان على نفسه جعل للقائل مقالاً وهيأ للساعي نجاحاً . ولا حول ولا قوة الا بالله وهو رب الخلق وولي الامر يقضي في امورهم يدبر امره بقدرة عزيزة وعلم سابق فنسأله ان يعزم لامير المؤمنين على المراشد ويحصنه بالحفظ والثبات والسلام ولله الحمد والشكر .

تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه ولا يدفع قضاؤه ولا امره وانما قوله اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه ودبر الامور بحكمه وانفذ فيما اختار واصطفى منها عزمه بقدرة منه عليها وملكة منه لها لا معقب لحكمه ولا شريك له في شيء من الامور يخلق ما يشاء ويختار ما كان للناس الخيرة في شيء من امورهم سبحان الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الذي جعل صفو ما اختار من الامور دينه الذي ارتضى لنفسه ولمن اراد كرامته من عباده فقام به ملائكته المقربون يعظمون جلاله ويقدسون اسماءه ويذكرون آلاءه لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقام به من اختار من انبيائه وخلفائه واوليائه في ارضه يطيعون امره ويذبون عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون بحقه ويجاهدون عدوه وكان لهم عند ما وعدهم من تصديقه قولهم وافلاجه حجتهم واعزازه دينهم واظهاره حقهم وتمكينه لهم وكان لعدوه وعدوهم عند ما اوعدهم من خزيه واحلاله بأسهم وانتقامه منهم وغضبه عليهم مضى على ذلك امره ونفذ فيه قضاؤه فيما مضى وهو ممضيه ومنفذه على ذلك فيما بقي ليتم نوره ولو كره الكافرون ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . والحمد لله الذي لا يقضي في الامور ولا يدبرها غيره ابتدأها بعلمه وامضاها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولي الخيرة فيها والامضاء لما احب ان يمضي منها يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذي المن والطول والقدرة والحول الذي لا ممسك لما فتح لاوليائه من رحمته ولا دافع لما انزل باعدائه من نقمته ولا راد لامره في ذلك وقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . والحمد لله المثيب بجمده ومنه ابتداؤه والمنعم بشكره وعليه جزاؤه والمثني بالايمان وهو عطاؤه

كتب ابن المقفع الى صديق ولدت له جارية :

بارك الله لكم في الابنة المستفادة وجعلها لكم زينا واجرى لكم بها خيرا فلا تكرهوها فانهن الامهات والاخوات والعمات والخالات ومنهن الباقيات الصالحات . وربّ غلام ساء اهله بعد مسرتهم وربّ جارية فرّحت اهلها بعد مساءتهم .

تعزية لابن المقفع عن والد :

اعظم الله على المصيبة اجرك واحسن على جليل الرزء ثوابك وعجل لك الخلف فيه وذخر لك الثواب عليه .

وله :

انما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقه فلا تجمعن الى ما فجعت به من ولدك الفجيعة بالاجر عليه والعوض منه . فانما اعظم المصيبتين عليك وانكى المرزيتين لك . اخلف الله عليك بخير وذخر لك جزيل الثواب .

وتعزية له عن بنت :

لا ينقص الله عددك ولا ينزع عنك نعمته التي البسك واحسن العوض لك وجعل الخلف لك خيرا مما رزأك به وما اعطاك خيرا مما قبض منك :

وله تعزية عن ابنة :

جدد الله لك من هبته ما يكون خلفا لك بما رزئته وعوضا من المصيبة به ورزقك من الثواب عليه اضعاف ما رزأك به منها . فما اقل كثير الدنيا في قليل الآخرة مع فناء هذه ودوام تلك .

وتعزية له ايضا :

اعظم الله اجرك في كل مصيبة واوزعك الشكر على كل نعمة . اعرف لله حقه واعتصم بما امر به من الصبر تظفر بما وعد من عظيم الاجر .

وتعزية لابن المقفع :

اما بعد فان امر الآخرة والدنيا بيد الله هو يدبرها ويقضي فيهما ما يشاء لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه فان الله خلق الخلق بقدرته ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لئلا يطمع احد من خلقه في خلد الدنيا ووقت لكل شيء ميقات اجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليس احد من خلقه الا وهو مستيقن بالموت لا يرجو بان يخلصه من ذلك احد . نسأل الله خير المنقلب . وبلغني وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب ثوابها من ربنا الذي اليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله فانه جعل لاهل الصبر صلوات منه ورحمة وجعلهم من المهتدين .

ولابن المقفع في السلامة :

اما بعد فقد اتاني كتابك فيما اخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح ماقبلك وفي الذي ذكرت من ذلك نعمة مجللة عظيمة نحمد عليها وليها المنعم المفضل المحمود ونسأله ان يلهمنا واياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها . وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن على حال لو اطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف لكنه الحق فترغب الى الذي تزداد نعمه علينا في كل يوم وليلة تظاهراً ألا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً وان يرزقنا مع كل نعمة كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدير .

وله كتاب للثقفي في السلامة :

اما بعد فان مما نمق الله به مناقبك الكريمة المحمودة الغانية عن القول والوصف انك موضع المؤونات عن اخوانك حمال عنهم اثقال الامور مما وضعت عنه المؤونة ارتفاعك عن الامور التي يطأطأ اليها الكلام على السنة الناس اذ اباحوه وبهرجوه وضيعوا القول ونسوا القصد فيه واخذوا به في كل فن واصفوا بصفوته غير اهلها فيما لا ينبغي لهم من التشبيه والتوفير والتفضيل . كان من خبري بعدك اني قدمت بلد كذا فتهيأ لي بعض ما شخصت له والمحمود على ذلك الله عز وجل وانا على ان يأتيني خبرك محتاج فاما جملة خبري في فراقك فقلبي مكة كل ما سواك حرام فيها .

وله جواب في السلامة :

اما بعد فقد اتاني كتاب الامير رجعة كتابي اليه فكان فيه تصديق الظن وتثبيت الرأي ودرك البغية والله محمود فامتع الله بالامير وامتعه بصالح ما آتاه وزاده من الخيرات مستعمراً له فيه مستعملا بطاعته التي بها يفوز الفائزون والذي رزق الله من الامير فهو عندي عظيم نفيس وكل الذي قبلي عن مكافأته فقصر الا انه ليس في النية تقصير ولا بلوغ لشيء من الامور الا بتوفيق الله عز وجل ومعونته والسلام .

وله في السلامة جواب ايضاً :

اما بعد فلقد اتاني كتابك فيما اخبرتني عنه من صلاحك وصلاح ماقبلك وفي الذي ذكرت نعمة مجللة عظيمة نحمد عليها الله (١) المنعم بها المحمود ونسأله ان يلهمنا واياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها (٢) نحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال

---

(١) هذا الكتاب ورد في الاصل مرتين وفي المرة الثانية ورد (نحمد عليها وليها المنعم المفضل المحمود) الخ

(٢) هنا في الصورة الثانية وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن على حال الخ

لو اطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف (١) لكنه الحق فنرغب الى الذي يزيد في نعمه علينا تظاهراً الا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً وان يرزقنا مع كل نعمة كفاء (٢) من المعرفة بفضله فيها والعمل في اداء حقها .

وفي السلامة ايضاً (ولم يقل انها له) :

كتبت اليك وامير المؤمنين وما يأتيه من لين الطاعة واتساق الكلمة عمت في الداني والقاصي من بلدانه وحواشي سلطانه على ما يحمد الله عليه فان نعمة الله على امير المؤمنين تجري على أذلالها وتنقاد في اسهل سبيلها .

قال المؤلف : ومن مختار ما كتب به من باب الشكر ولم اعرف ان كانت له او لغيره لانه اورد كتب بضم اولها ومع هذا فهذه هي الرسالة :

اما بعد فما اعجز تعدادي عما اتعرف منك واتعرفه بك دانياً وناثياً وما ادري ما ابتدأتني به من معروفك ارهن لشكري ام ما ثنيت به من برك لبدئك بعنايتك على نأيك ام ما البستني جماله على لسانك باطرائك وثنائك ام ما عقدته لي عند غيرك بتلطفك وتأتيك غير اني اعلم انك لم تقصر في استحقاق شكر علي وارجو الا اكون مقصراً في معرفة ذلك منك ومن لم يقصر عمله ولم يؤت في شكره الا من عظم المعروف عنده مع جهده فقد دخل بالعلم والجهد في الشاكرين . غير ان الذي آنستني به من رفدك وتوطيدك قد زادني وحشة اليك وان حفظ من حفظني فيك وان لم يكن مقصراً وقد جدد لي المعرفة بوثارة مكاني عندك واني بلغت ان اصلحت لي الامور والرجال واصلحتني الى صلاحي لنفسك فليس كتابي هذا باستبطاء لاحد حتى يستبطئه ولا شكري حتى يكون البدء منك ولكن روحت عن نفسي بذكرك وزينتها بشكرك وزكيتها بالاقرار بفضلك .

ولابن المقفع :

ان الناس لم يعدموا ان يطلبوا الحوائج الى الخواص من الاخوان وان يتواصلوا بالحقوق ويرغبوا الى اهل المقامات ويتوسلوا الى الاكفاء وانت بحمد الله ونعمته من اهل الخير وممن اعان عليه وبذل لاهل ثقته المصافين وان بذل النفوس فيه واعطاء الرغيب ليس منك ببكر ولا طريف بل هو تليد اتلده اولكم لآخركم واورثها اكابركم اصاغركم ومن

---

(١) في النسخة الثانية ولكنه الحق فنرغب الى الذي تزداد نعمه علينا كل يوم وليلة تظاهراً

(٢) في الصورة الثانية : كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدير .

حاجتي كذا وانت احق من طلبت اليه واستعنته على حوادث الدهر وانزلت به امري لقرب نسبك وكريم حسبك ونباهتك وعلو منزلتك وجسيم طبائعك وعوام اياديك الى عشيرتك وغيرها فليكن من رأيك ما حملتك من حاجتي على قدر قسم الله لك من فضله وما عودك من منته ووسع غيري من نعمائك واحسانك .

ولابن المقفع ايضاً :

اما بعد فان من قضى الحوائج لاخوانه واستوجب بذلك الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم . والمعروف اذا وضع عند من لا يشكره فهو زرع لا بد لزارعه من حصاده او لعقبه من بعده . وكتبت اليك ولحالنا التي نحن بها فيما نذكرك حاجة اول مافيها معروف تستوجب به الشكر علينا وتدخر به الايادي قبلنا .

ولعبدالله بن المقفع الى يحيى بن زياد (الحارثي) ابتداء في المؤاخاة :

اما بعد فان اهل الفضل في اللب والوفاء في الود والكرم في الخلق لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدق يشيد بفضلهم ويخبر عن صحة ودهم وثقة مودآخاتهم فتخير اليهم رغبة الاخوان ويصطفي لهم سلامة صدورهم ويجتبي لهم ثمرة قلوبهم فلا مثني افضل تقريظاً ولا مخبر اصدق أحدوثة منه . وقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة محمودة نسبت الى مزيتها في الفضل وجعل بها ثناؤك في الذكر وشهد لك بها لسان الصدق فعرفت بمناقبها ووسمت بمحاسنها فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مستبقين يبتدرون ودك ويصلون حبلك ابتدار اهل التنافس في حظ رغيب نصبت لهم غاية يجري اليها الطالبون ويفوز بها السابقون . فمن اثبت الله عندك بموضع الحرز والثقة وملأ يدك يده من اخي وفاء ووصلة واستنام منك الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغموراً بفضلك عليه في الود يتعاطى من مكافأتك ما لا يستطيع ويطلب من اثرك في ذلك غاية بلوغها شديد . فلو كنت لا تؤاخي من الاخوان الا من كافأ بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت احداً ولعدمت من الاخوان صفراً ولكن اخوانك يقرون لك بالفضل وتقبل انت ميسورهم من الود ولا تجشمهم كلف مكافأتك ولا بلوغ فضلك فيما بينك وبينهم فانما مثلك في ذلك ومثلهم كما قال الاول .

ومن ينازع سعيد الخير في حسب ينزع طليحاً ويقصر قيده الصعد

ولم أرد بهذا الثناء عليك تزكيتك ليكون ذلك قربة عندك وآخية لي لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق وتنكبت الاثم والباطل فان القليل من الصدق البريء من الكذب افضل من كثير الصدق المشوب بالباطل . ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك واني لاخاف الفتنة عليك حين تسمع بتزكية نفسك وذكري ما ذكرت من

فذلك لان المدح مفسدة للقلب مبعثة للعجب . ثم رجوت لك المنعة والعصمة لاني لم اذكر الا حقاً والحق ينفي من اللبيب العجب وخيلاء الكبر ويحمله على الاقتصاد والتواضع . وقد رأيت اذ كنت في الفضل والوفاء على ماوصفت منك ان آخذ بنصيبي من ودك واعمل وثيقة حبلي بحبالك فيجري بيننا من الاخاء اواصر الاسباب التي بها يستحكم الود ويدوم العهد وعلمت ان تركي ذلك غبن واضاعتي اياه جهل لان التارك للحظ داخل في الغبن والعائد عن الرشد موجف الى الغي فارغبْ من ودي فيما رغبت فيه من ودك فاني لم ادع شيئاً استثلي به منك الرغبة واجتر به منك المودة الا وقد اقتدت اليك ذريعته واتممت نحوك مطيته لترى حرصي على مودتك ورغبتي في مؤاخاتك والسلام .

جواب من يحيى بن زياد في صفة الاخاء :

اما بعد فانا لما رأينا موضع الاخاء ممن يحتمله في تأنيسه من الوحشة وتقريبه لذي البعدة ومشاركته بين ذوي الارحام في القربة لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبته فنسبنا الاخاء فوجدناه في نسبته لا يستحق اسم الاخاء الا بالوفاء فلما انتقلنا عنه الى الوفاء فنسبناه انتسب لنا الى الصبر فوجدناه محتوياً على الكرم والنجدة والصدق والحياء والنجابة والزكانة وسائر ما لا يأتي عليه العدد من المحامد ثم انحدرنا فيما اصعدنا فيه من هذا النسب فعدنا الى الاخاء فوجدناه لا يقوم به الا من هذه الخصال كلها اخلاقه . ولما استوجب الاخاء مسالك المحمدة كلها رأينا ان نتخير له المواضع في صواب التوزير واحكام التقدير وعلمنا ان الاحتباس به احسن من الندم بعد بذله واستوجب اذ كان جماع المحامد ان نتخير له محامله التي كان يحمل عليها فكان الناس فيما احتسبنا به عنهم من الاخاء على صنفين فصنف نذرونا بالتحبس للتخير اذ كان التخير من شأنهم وصنف هم ذوو سرعة الى الاخاء وسرعة في الانتهاء فقدموا اللائمة واستعجلوا بالمودة وتركوا باب التروية واستحلوا عاجل المحبة ولهوا عن آجل الثقة فكانوا بذلك اهل لائمة ولم يجد المعذرون الا الصبر على تلك والاستعمال للرأي والاستعداد بالعذر عند الحاجة . وقد فهمت كتابك اليّ بالمودة واستحثاثك اياي في الاخوة ومادنوت به من حرمة المحبة فنازعت اليك نفسي بمثل الذي نازعت به اليّ نفسك فوائبتني عادة الاستعمال للتروية في الخبرة والتخير للغيبة فجلت عن كتابك جولة غير نافرة ثم راجعت مقاربتك فقلت القِ اليّ اسباب المودة قبل كشف الغطاء بالخبرة فخشيت ان تعذر نفسك بالتقدم وتحدث الزهادة للتعسف بالجهالة عند الخبرة فجلت عن هذا جولة كالجولة الاولى ثم عاودت اسعافك وطاعة التشوق ومعصية التخير ثم قلت ما حال من جعل الظن دون اليقين والتقدم قبل الوثيقة فلما كان الرأي لي خصماً تنكبت الوقوع في خلافه فلم اجد الا الادبار عن اقبالك سبيلاً ولا مع ذلك في طاعة الشوق حجة فتغيبت السبيل

بين ذلك الى اعطائك طرف حبل الاخاء في غير الخروج من سبيل التخير وكرهت ان تستعبدني بالاخاء قبل ان اعرفك بحسن الملكة وان تستظهر بي على الاعداء قبل ان اعرفك بعدل السيرة وان تستضيء بي في ظلم الجهل قبل ان اعرفك بعقد اللب وان تستمكن بي في المطالب قبل ان اعرفك بقصد الهمة فقدمت اليك الترحيب والعدة واحسنت عنك المفاوضة والثقة وتنظرت ان تثمر لي فاذوق جناك فاعرفك بالمذاقة في الطعم اما لافظاً واما مستبلعاً فان كان اللفظ لم اكن من الرأي في قلبه وان كان الاستبلاع ذوقتك ما تشوقت اليه مما ادعيت مني به الخبرة واول ما انا معتبر به منك المواظبة على استنجاح ما سألت او السآمة له فان كانت المواظبة فاحد الشهود المعدلين وان كانت السآمة فانت عن حمل ما تعطي اضعف منك عن جميل ما تطلب . طالعني بكتبك فانك قد حللت قبلي عقداً من التحفظ وعقدت عقداً من التقرب والسلام .

رسالة عبد الحميد الكاتب

في نصيحة ولي العهد

قال ابوالفضل احمد بن ابي طاهر في كتابه المنثور والمنظوم ومن الرسائل المفردات رسالة عبدالحميد بن يحيى الى عبدالله بن مروان حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجي (١) في تعبية الحروب فانه يقال انها لا مثل لها في معناها :

اما بعد فان امير المؤمنين عند ما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجافي الأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوي الهلكة ورعاعه الذين عاثوا في الارض فسادا وانتهكوا حرمه استخفافا و بدلوا نعم الله كفرا واستحلوا دماء اهل سلمه جهلا احب ان يعهد اليك في لطائف امورك وعوام شؤونك ودخائل احوالك ومضطر تنقلك عهداً يحملك فيه ادبه و يشرع لك عظته وان كنت والحمد لله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مخصصاً لك بذلك دون لحمتك و بني ابيك

ولولا ما امر الله به دالا عليه بتقدمة المعرفة لمن كانوا اولي سابقة في (الدين) وخصيصي(٢) في العلم لاعتمد امير المؤمنين منك على اصطناع الله اياك بما يراك اهله في محلك من امير المؤمنين وسبقك الى رغائب اخلاقه وانتزاعك محمود شيمه واستيلائك على تشابه تدبيره .

---

(١) هو الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي كان له شأن في اواخر الدولة الأموية في الكوفة وواسط خرج سنة سبع وعشرين ومائة واستولى على الموصل وكورها قال ابن الاثير في حوادث سنة ثمان وعشرين ومائة و بلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال اهلها فكتب الى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه ليمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها في سبعة آلاف او ثمانية آلاف وسار الضحاك الى نصيبين فحضر عبدالله فيها وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة الف ثم ان مروان سار الى الضحاك فالتقوا بنواحي كفرتوثا من اعمال ماردين فقاتله يومه اجمع فاحدقت بالضحاك واصحابه خيول مروان والحوا عليهم في القتال حتى قتلوهم . قتلا وكثرة ظهور الخوارج على الامويين في آخر امرهم دعت مروان الى ان يكتب الى ابنه بهذه الرسالة من انشاء كاتبه عبدالحميد والدهشة بادية على سطورها من امر الضحاك وجنده

(٢) يقال خصه بالشيء خصاً وخصوصاً وخصوصية وخصيصي (بالفتح والقصر ويمد) وخصية وتخصة فضله ولا نظير لها الا المكيثى

ولو كان المؤدبون اخذوا العلم من عند انفسهم ولُقنوه الهاما من تلقائهم ولم ينقلوا شيئًا من عند غيرهم لتخلذاهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته وفردانيته في الاهيته واحتجاجًا (؟) منهم لتعقب في حكمه وثبت في سلطانه وتنفيذ ارادته على سابق مشيئته ولكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبوّ بزية العلم ادركه مُعادًا عليه بلطيف بحثه واذلال كنفه وصحة فهمه وهجر سآمته .

وقد تقدم امير المؤمنين اليك اخذًا بالحجة عليك مؤديا حق الله الواجب عليه في ارشادك وقضاء حقك وما ينظر الوالد المعنيُّ الشفيق لولده . وامير المؤمنين يرجو ان ينزهك الله عن كل شيء قبيح يهش له طمع وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد وان يحصنك من كل آفة استولت على امريء في دين او خُلق وان يبلغه فيك احسن ما لم يزل يعوده ويريه من آثار نعمة سامية بك الى ذروة الشرف ومنجحة لك بسطة الكرم لائحة بك في ازهر معالي الادب . والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك دواعي التوفيق معانًا على الارشاد فيه فانه لا يُعين على الخير ولا يوفق له الا هو

اعلم ان للحكمة مسالك تفضي مضايق اوائلها بمن أمها سالكًا وركب خيارها قاصدًا الى سعة عاقبتها وأمن سرحها وشرف عزها وانها لا تعاف بسخف الخفة ولا تنسى بتفريط الغفلة ولا يتعدى فيها بامن حد (؟) . وقد تلقنك اخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في ادراكها ولا متطاول المنال لذروتها بل تأثلت (١) منها اكرم معانيها واستخلصت منها اعتق جواهرها ثم شمرت الى لباب مُصاصها واحرزت منفس (٢) ذخائرها فاقة بعدما احرزت ونافس فيما اصبت .

واعلم ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله في جميع امورك مؤثرًا لها واصطبارك على طاعته واعظام ما انعم به عليك شاكرًا لما مرتبطًا للمزيد بحسن الخياطة له والذب عنه ان تدخلك منه سآمة ملال او غفلة او ضياع او سنة تهاون او جهالة معرفة فان ذلك احق ما بديء به ونظر فيه معتمدًا عليه من القوة والآلة والانفراد من الاصحاب والحامة (٣) فتمسك به لاجئًا اليه واعتمد عليه مؤثرًا له والتجيء الى كنفه متحرزًا به انه ابلغ ما طُلب به رضا الله وانجحه مسألة واجزله ثوابًا واعوده سعيًا واعمه صلاحًا وارشدك الله لحظك وفهمك سداده واخذ بقلبك الى محموده .

ثم اجعل لله في كل صباح يُنعم عليك ببلوغه ويظهر منك السلامة في اشراقه من نفسك

---

(١) اكتسبت وجمعت (٢) شيء نفيس ومنفوس ومنفس كمخرج اذا كان يتنافس فيه
(٣) الاقارب

نصيباً تجعله لله شكراً على ابلاغه اياك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور كرامة ، وان تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ جزأ تردد رأيك في ادبه وتزين لنفسك بقراءته ويحضره عقلك ناظراً في محكمه وتفهمه متفكراً في متشابهه فان فيه شفاء القلوب من امراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه وضياء معالم النور تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات

واعلم ان كل اعدائك لك عدوّ يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خُدَع ابليس وحبائل مكره ومصائد مكيدته فاحذرها مجانباً وتوقها متحرساً منها واستعذ بالله من شرها وجاهدها اذا تناصرت (١) عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مثنوية (٢) لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضاءة صارمة لا اناة معها ونية صحيحة لا خلجة (٣) شك فيها فان ذلك ظهريّ (٤) صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تتطلع اليه منك وهي واقية لك سخطة ربك داعية لك رضا العامة ساترة عليك عيب من دونك فازدن به ملتحفاً واصب باخلاقك مواضعها الحميدة منها وتوق عليها التي تقطعك عن بلوغها وتقصر بك عن سامیها فحاول بلوغ غايته محرزاً لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصناً لاعمالك من العجب فانه رأس الهوى واول الغواية ومقاد الهلكة حارساً اخلاقك من الآفات المتصلة بمساوىء العادات وذميم ايثارها من حيث اتت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن فتوقّ الآفات على عقلك فان شواهد الحق ستظهر بامارانها تصديق رأيك عند ذوي النهى وحال الرأي وفصل النظر . فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصدق بالحذر لما تقدم اليك فيه امير المؤمنين متحرزاً من دخول الآفات عليك من حيث امنك وقلة ثقنك بمحكمها .

ومنها ان تملك امورك بالقصد وتصون سرك بالكتمان وتداري جندك بالانصاف وتذلل نفسك للعدل وتحصن عيوبك بتقويم اودك . وأناتك فوّقها الملال وفوت العمل ومصابك فدرعها (؟) رؤية النظر واكتنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة وصمتك فانف عنه عيّ اللفظ وخف فيه سوء القالة (٥) واستماعك فأرعه (٦) حسن التفهم وقوّه باشهاد الفكر . وعطاءك فانهد له (٧) بيوتات الشرف وذوي الحسب وتحرز فيه من السرف . وحياءك فامنعه من الخجل وحلمك فزعه عن التهاون وأحضره قوة

(١) تناصرت الاخبار صدق بعضها بعضاً (٢) استثناء (٣) اضطراب (٤) الظهري ما يجعله المرء عدة له عند مس الحاجة اليه (٥) يطلق القول في الخير والقال والقيل والقالة في الشر (٦) يقال ارعني سمعك وراعني سمعك استمع لمقالي (٧) نهد الهدية عظمها واضخمها

الشكيمة (١) وعقوبتك فقصر بها عن الافراط وتعمد بها اهل الاستحقاق وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذ به واجب المفترض واقم به أود الدين . واستئناسك فامنع منه البذاءة وسوء المثافنة وتعهدك امورك بتخذه اوقاتاوقدّره ساعات لا يستفرغ قوتك و يستدعي سآمتك . وعزمتك فانف عنها عجلة الرأي ولجاجة الاقدام . وفرحاتك فاشكمها عن البطر وقيدها عن الزهو . وروعاتك فخطها من دهش الرأي واستسلام الخضوع وحذارتك (فاصرفها) عن الجبن واعمد بها للحزم و رجاءك فقيده بخوف الفائت وامنعه من أمن الطلب

هذه جوامع دخائل النقص منها واصل الى العقل بلطائف الله وتصاريف حوله فأحكمها عارفاً وتقدم في الحفظ لها معتزماً على الاخذ بمراشدها والانتهاء منها الى حيث بلغت بك عظة امير المؤمنين وادبه ان شاء الله

ثم ليكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرك اهل الفقه والورع من اهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور وخبطته فصالها بين قرائن البزل (٢) وقلبته الامور في فنونها وركب اطوارها عارفاً بمحاسن الامور ومواضع الرأي مأمون النصيحة مطويّ الضمير على الطاعة

ثم أحضرهم من نفسك وقاراً تستدعي منهم بك الهيبة واستئناساً يعطف اليك منهم بالمودة وانصافاً يغل اقاصيهم منك عما تكره ان ينتشر عنك من مخافة الرأي و يقطعك دون الفكر .

وتعلم ان خلوت بسر فالقيت دونه ستورك وأغلقت عليه ابوابك فذلك لا محالة مكشوف للعامة ظاهر عنك وان استترت به ولعل وما أرى اذاعة ذلك . فاعلم بما يرون من حالات من يُنقطع به في تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك وسدّ خلله عنك فانه ليس احد اسرع اليه سوء القالة ولغط العامة بخير او شر ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي اصبحت به من دين الله والامل المرجوّ المنتظر . واياك ان يغمز (٣) فيك احد من عامتك و بطانة خدمك بضعفة يجد بها مساغاً الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ولا تخلو من لائمته ولا تأمن سوء القالة فيه ان نجم ظاهراً وعلن بادياً ولن يجترؤا على ذلك عندك الا ان يروا منك اصغاءً اليها وقبولا لها وترخيصاً بها

ثم اياك ان يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي

---

(١) الشكيمة قوة القلب (٢) البازل في الاصل البعير اذا ظهر نابه ومن المجاز البازل للرجل الكامل في تجربته تشبيهاً بالبعير البازل والجمع بزل كركع وكتب (٣) اغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر شأنه

يستخف بها اهل البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجد فيها اهل الحسد مقالا لعيب يرفعونه ولطعن في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم كمون النار في الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره ولهب في وميضه ووقد تضرمه . وليست في احد اقوى سطوة واظهر توقداً واعلى كمونا واسرع اليه بالعيب منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوي العنفوان في الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لانحها ظاهراً عليهم وسمها ولم تمضهم شهامتها مظهرة للعامة فضلهم مذيعة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصمت في الحركة مستمعات (؟) يدفعون به عن انفسهم نواطق السن اهل البغي ومواد ابصار اهل الحسد .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من اهل السلطان والقدرة من اقطار (؟) الذرع ونخوة التيه فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم في مواطن جمة منها قلة اقتدارهم على ضبط انفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة . فمن مقلقل شخصه بكثرة الالتفات تزدهيه الخفة ويبطره اجلاب (١) الرجال حوله . ومن مقبل في موكبه على مداعبة مسايره بالمصاحبة له والتضاحك اليه والايجاف في السير مهمرجاً (٢) وتحريك الجوارح مستسرعاً يخال له ان ذلك اسرع له واخف لمطيته فتحسن في ذلك هيئتك وتجمل فيه رعيتك وليقل على مسائلك اقبالك الا وانت مطرق النظر غير ملتفت الى تحدث ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحادثته ولا مخف في السير تقلقل جوارحك بالتحريك . فان حسن مسايرة الوالي وابتداعه فى تلك من حاله دليل على كثير من غيوب امره ومستتر احواله

واعلم ان اقواماً سيسرعون اليك بالسعاية ويأتونك من قبل النصيحة ويستميلونك باظهار الشفقة ويستدعونك بالاغراء والشبهة ويوطئونك عشوة (٣) الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة الى استئكال (٤) العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة او اسرعوا بك في امره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع في دينك ويحملك على رعيتك ما لا حقيقه فيه

---

(١) الجلب اختلاط الاصوات كالجلبة واجلبوا وجلبوا فعلان من الجلب بمعنى الصياح وجماعة الناس (٢) الهمرجة الخفة والسرعة ولغط الناس والاختلاط في المشي والهملجة سير الدابة في سرعة وبختزة (٣) العشوة الظلمة كالعشواء وركب فلان العشواء اذا خبط في امره (٤) من قولهم استأكل الضعفاء اذا اخذ اموالهم

و يحملك على اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما اقدم به عليهم ساعيا واظهر لك منهم منصحا .

وليكن صاحب شرطك ومن احببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينهِ ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وتقفه (١) على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صوابا نالتك حظوته وان كان خطأ اقدم به جاهل او فرطة يسعى بها كاذب فنالت الباغي منها او المظلوم عقوبة و بدر من واليك اليه نكال لم يُعصب (٢) ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفريطه وخلوت من موضع الذم فيه

فافهم ذلك وتقدم الى من تولى فلا يقدم على شيء ناظرا فيه ولا يحاول اخذ احد طارقا له ولا يعاقب احدا منكلا به ولا يخل سبيل احد صافحا عنه لاظهار براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك امره و ينهي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق .

فان رأيت عليه سبيلا لمحبس او مجازا لعقوبة امرته فتولى ذلك من غير ادخال له عليك ولا مشافهة منك له فكان المتولي لذلك ولم يجر على يدك مكروه ولا غلظ عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلا وكان مما قرف به خليا كنت انت المتولي للانعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه باطلاق اسره فتوليت أجر ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك فقرنت خصلتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة .

ثم اياك وان يصل اليك احد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك او حاجة يبدهك (٣) بطلبها حتى يرفعها قبلُ الى كاتبك الذي اهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منهيا لها على جهة صدقها و يكون على معرفة من قدرها فان اردت اسعافه ونجاح ما سُئل منها اذنت له في طلبها باسطا له كنفك مقبلا عليه بوجهك مع ظهور سرور منك بما سألك بفسحة رأي وبسطة ذرع وطيب نفس . وان كرهت قضاء حاجته واحببت رده عن طلبته (٤) وثقل عليك اسعافه بها امرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجهتك بها فخفت عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذكر وحمل على كاتبك لائمة انت منها بريء الساحة .

وكذلك فليكن رأيك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود واتاك من الرسل فلا يصلن اليك احدٌ منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهة ما هو مكلك وقدر

---

(١) وقف يتعدى بنفسه قال تعالى وقفوهم انهم مسؤلون اما وقفته توقيفا واوقفته ايقافا فقد انكره الجمهور وقالوا انهما غير مسموعين او غير فصيحين (٢) يعصب يقرن (٣) بدهه بالامر استقبله به مفاجأة (٤) الطلبة بكسر اللام ما طلبته

ما هو سائلك اياه اذا هو وصل اليك فاصدرت رأيك في جوابه واجلت فكرك في امره وانفذت مصدر رويتك في مرجوع مسألته قبل ما دخوله عليك وعلمه بوصول حاله اليك فرفعت عنه مؤونة البديهة وارخيت عن نفسك خناق الروية فاقدمه على رد جوابه بعد النظر والفكرة فان دخل عليك احد منهم فكلمك بخلاف ما انهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته عنك دفعاً جميلاً ومنعته جوابك منعاً ودفعاً ثم امرت حاجبك باظهار الجفوة له والغلظة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك مما يحكم لك تلك الاشياء صارفاً عنك مؤونتها ان شاء الله .

احذر تضييع رأيك واهمال ادبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما اياك فلا يزدهينك افراط عجب تستحسنك روائعه ويستهويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ وتزق خفة لمكروه وان حل بك او حادث وان طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجإ تحرز به من آفات الردى وتستعهده (١) في مهم نازل وتتعقب به امورك في التدبير فان احتجت الى مادة من عقلك وروية من فكرك او انبساط من منطقك كان الحيازك الى ظهريك مزداداً مما احببت الاستمار منه وان استدبرت من امورك بوادر لمهل او مضي زلل او معاندة حق او خطإ تدبير كان ما احتجت من رأيك عذراً لك عند نفسك وظهري قوة على رد ما كرهت وتخفيفاً لمؤونة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر وحصناً من غلوب الآفات على اخلاقك ان شاء الله .

وامنع اهل بطانتك وخاص خدمك وعامة رعيتك من استلحام (٢) اعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض والنميمة اليك بشيء من احوالهم المستترة عنك او التحميل لك على احد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة . فانه ابلغ سموا الى منال الشرف واعون لك على محمود الذكر واطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانقهاق (٣) وعن القطوب باظهار الغضب وتنجله فان ذلك ضعف من سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل .

وليكن ضحكك تبسماً او كبراً (؟) في احايين ذلك واوقاته وعند كل مرأى ملهي ومستخف مطرب وقطوبك اطراقاً في موضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى المطيرة دون ان يكنفها روية الحلم وتملك عليها بادرة الجهل .

---

(١) استعهد فلاناً من نفسه ضمنه حوادث نفسه (٢) استلحم الطريق اذا تبعه ولزمه واستلحمه الخطب اذا نشب فيه (٣) الانقهاق في الشيء التوسع فيه

اذا كنت في مجلس ملاءٍ وحضور العامة مجلسك فاياك والرمي ببصرك الى خاص من قوادك او ذي أثرة من حشمك . وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واعارتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ووقار حسن وحضور فهم مستجمع وقلة تفجر بالمحدث ثم لا يبرح وجهك الى بعض قوادك وحرسك متوجهاً بنظر ركين وتتقدمحض فان وجه احد منهم نظره محدثاً او رماك ببصره ملحاً فاخفض عنه اطراقا جميلا بابداع وسكون . واياك والتسرع في الاطراق والخفة في تصاريف النظر والالحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك رامقاً بنظره

واعلم ان تصفحك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك عالماً بمواضعهم من مجلسك ثم اعدُ بهم عن ذلك سائلا عن اشغالهم التي منعتهم من حضورك وعاقتهم بالتخلف عنك ان شاء الله

ان كان احد من اعوانك وحشمك تثق منه بغيب ضميره وتعرف منه لين طاعة وتشرف منه على صحة رأي وتأمنه على مشورتك فاياك والاقبال عليه في حادث يرد او التوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك او ان تريه او احداً من اهل مجلسك ان بك اليه حاجة موحشة وان ليس بك عنه غنىً في التدبير او انك لا تقضي دونه رأياً اشراكاً له في رويتك وادخالا له في مشورتك واضطراراً الى رأيه فان ذلك من دخائل العيوب المنتشر بها سوء القالة عن نظرائك وانفها عن نفسك خائفاً لاغفالها ذكرك واحجبها عن رؤيتك قاطعاً اطماع اولئك عن مثلها عندك او غلبتهم عليك منك

واعلم ان للمشورة موضع الخلا وانفراد النظر فابغها محرزاً لها ورمها طالبا لبيانها واياك والقصور عن غايتها والافراط في طلبها

احذر الاعتزام بكثرة السؤال عن حديث اما اعجبك او امر اما ازدهاك والقطع لحديث من ارادك بحديثه حتى تنقضه عليه بالاخذ في غيره او المسألة عما ليس منه فان ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الادب عن تناول محاسن الامور والمعرفة لمساوئها وانصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم انك قد فهمت عنه واحطت معرفة بقوله فان اردت اجابته فعن معرفة حاله وبعد علم بطلبته والا كنت عند انقضاء كلامه كالمتعلل من حديثه بالتبسم والاغضاء فاجرى عنك الجواب وقطع عنك السن العتب

اياك وان يظهر منك تبرم بمجلسك وتضجر بمن حضرك وعليك بالتبثت عند سورة الغضب وحمية الأنف وملال الصبر في الامر تستعجل به والعمل تأمر بانفاذه فان ذلك سخف سائر وخفة مُردية وجهالة بادية . وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس وسكون الريح

والرفض لحشو الكلام وترديد فضوله والاعتزام بالزيادات في منطقك والترديد للفظك من نحو اسمع نو اعجل او ألا ترى او ما يلهج به من هذه الفصول المقصرة بأهل العقل المنسوبة اليهم بالعي المردية لهم في الذكر . وخصال من معايب الملوك والسوقة عيبها (؟) عند النظر الا من عرفها من اهل الادب وقلما حامل لها مضطلع بثقلها اخذ لنفسه بجوامعها فانفها عن نفسك بالتحفظ منها واملك عنها اعتقادك معنياً بها (؟) كثرة التفخم والتبزق والتمخنح والتثاؤب والجشاء والتمطي وتنقيض الاصابع وتحريكها والعبث باللحية والشارب والمخصرة وذؤابة السيف والايماض بالنظر والاشارة بالطرف الى احد من خدمك بأمر ان اردته والسرار في مجلسك والاستعجال في طعمك وشربك

ليكن مطعمك مبتدعا (١) وشربك انفاسا وجرعك مصاواياك والتسرع في الأيمان فيما صغر او كبر من الامور او الشتيمة بابن الهيبة او العمرية (؟) لاحد من خدمك وخاصتك بتسويغهم مقارفة الفسوق بحضرك او في دارك وبنائك فان ذلك مما يقبح ذكره ويسوء موقع القول فيه ويحمل عليك معابه وينالك شينه وينشر عنك سوء نبإه فاعرف ذلك متوقياً له واحذره مجانبا لسوء عاقبته

استكثر من فوائد الخير فانها تنشر المحمدة وتقيل العثرة . واصطبر على الغيظ فانه يورث العز ويؤمن الساحة . وتعهد العامة بمعرفة دخلهم وبنظر احوالهم واستثارة دفائنهم حتى يكون على مرأى العين ويقين الخبرة فتنعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقيم أودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدهم فان ذلك من فعلك يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان صدق في العامة ويحرز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة وقلوبهم المستجنة عنك . (وميز) بين منازل اهل الفضل في الدين والحجى والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والجمود عنه تناهاً (؟) باهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتستجمع لك اقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درج الشرف في الاحوال المتصرفة بك فاعتمد عليهم مستدخلا لهم وآثرهم بمجالستك مستمعاً منهم واياك وتضييعهم مفرطاً لهم واهمالهم مضيعاً

هذه جوامع من خصال قد لخصها لك امير المؤمنين وجمع شواهدها مؤلفا واهداها لك مراشد تقف عند اوامرها وتنتهي عند زواجرها وتثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل انفس الحظوظ ومزية الشرف واعلى درج الذكر والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الامل وان يجعل عاقبة ذلك بك

(١) ابدع الشيء انشأه واخترعه والمراد بالطعام المبتدع الحديث

الى غبطة يسوّغك اياها وعافية يحلك اكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفاتيح الخير وبيده الملك وهو على كل شيء قدير

فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم واخذت اهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي به منال الظفر وتكتنهف (١) به لمغالق الحذر تقوى الله عز وجل مستشعراً له بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لامره والاجتناب لمساخطه محتذياً سننه والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعدي شرائعه متوكلا عليه فيما صمدت (٢) له واثقاً بنصره فيما وجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز راغباً فيما أهاب (٣) بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند الله عز وجل من قتال عدو الله للمسلمين اكلبهم عليهم واظهرهم عداوة لهم وافدحهم ثقلاً لعاتهم واخذة بريقهم (٤) واعلاه دليهم بغياً واظهره فيهم فسقاً وجوراً واشده على فيئهم الذي اصاره الله لهم مؤونة

ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكفّ معرّتهم ورد مستعلي جورهم واحكام خللهم وضم منتشر قواصيهم ولمّ شعث اطرافهم وخذهم بمن مروا به من اهل ذمتك وملتك بحسن السيرة (وعفة) الطعمة ودعة الوقار وهدي الدعة وجمام (٥) (النفس) محكما ذلك منهم متفقداً لهم فيه تفقدك اياه من نفسك

ثم اصمد بعدوك المتسمي بالاسلام خارجا من جماعة اهله المنتحل ولاية الدين مستحلا لدماء اوليائه طاعناً عليهم راغباً عن سنتهم مفارقاً لشرائعهم يبغيهم الغوائل وينصب لهم المكايد اضرم حقداً عليهم وارصد عداوة لهم من الترك وامم الشرك وطواغي الملل يدعو الى المعصية والفرقة والمروق من الدين الى الفتنة مخترعاً بهواه الى الاديان المنتحلة والبدع المتفرقة خسارا وتخسيراً وضلالا واضلالا بغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد وبئس ما سولت له نفسه الامارة بالسوء والله من ورائه بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

حضّ جندك واشكم نفسك في مجاهدة اعداء الله وارجُ نصره وانجز موعده متقدماً في طلب ثوابه على جهادهم معتزماً في ابتغاء الوسيلة اليه على لقائهم فان طاعتك اياه فيهم ومراقبتك له ورجاءك لنصره مسهل لك وعوده وعاصمك من كل سيئة ومنجيك من كل

(١) اكتنهف وتكهف لزم الكهف والكهف المغارة والوزر والملجأ (٢) صمد للامر قصده معتمداً عليه (٣) اهاب بصاحبه دعاه (٤) الربقة حبل يوضع في العنق وجمعه ربق (٥) الجمام كسحاب الراحة

هوّة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كبوة وداري عنك كل شبهة ومذهب عنك لطخة كل شك ومقويك بكل أيد (١) ومكيدة ومؤيدك في كل مجمع لقاء وحافظك من كل شبهة مردية والله وليك وولي امير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفران احدهما اعمّ منفعة وابلغ في حسن الذكر قالة واحوطه سلامة واتمه عافية واعوده عاقبة واحسن في الامور موردًا واصحه في الرواية حزمًا واسهله عند العامة مصدرًا ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة ويمن النقيبة (٢) بغير اخطار (٣) الجيوش في وقدة جمرة الحرب ومنازلة الفرسان في معترك الموت وان ساعدك (الحظ) وناالك مزية السعادة في الشرف فني مخاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض السيوف وألم الجراح وقصاص الحروب ومجالها بمعاورة (٤) ابطالها على انك لا تدري لاي الفريقين الظفر في البديهة من المغلوب في الدولة ولعلك ان تكون المطلوب بالتمحيص فحاول ابلغهما في سلامة جندك ورعيتك واشهرهما ... في باديء رأيك واجمعهما لالفة وليك وعدوك واعونهما على صلاح رعيتك واهل ملتك واقواهما في حربك وابعدهما من وصم عزمك واجزلهما ثوابًا عندك . وابدأ بالاعذار والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وامر الجماعة وعرى الالفة آخذًا بالحجة عليهم متقدمًا بالانذار لهم باسطًا امانك لمن لجأ اليه منهم داعيًا لهم اليه باللين لطفك والطف حيلتك متعطفًا عليهم برأفتك مترفقًا بهم في دعائك مشفقًا عليهم من غلبة الغواية لهم واحاطة الهلكة بهم منفذًا رسلك اليهم بعد الانذار تعدهم كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق وبسط كل امان سألوه لانفسهم ومن معهم من تبعهم موطنًا نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك والصبر على ما اعطيتهم من وثائق عهدك قابلاً توبة نازعهم (٥) عن الضلالة ومراجعة مسيئهم الى الطاعة مرصدًا للمنحاز الى فئة المسلمين وجماعتهم اجابة الى ما دعوتهم اليه وبصرته من حقك وطاعتك بفضل المنزلة واكرام المثوى وتشريف الحال ليظهر من اثرك عليه واحسانك اليه ما يرغب في مثله لصارف عنك المصرّ على خلافك ومعصيتك ويدعو الى الاعتلاق بحبل النجاة وما هو املك به في الاعتصام به عاجلاً وانجى له من العقاب آجلاً واحوط على دينه ومهجته بدءا وعاقبة فان ذلك مما يستدعي نصر الله عز وجل به عليهم وتعتصم به في تقدمة الحجة اليهم معذرًا ومنذرًا ان شاء الله .

---

(١) الايد القوة (٢) النقيبة النفس يقال انه ميمون النقيبة منجح الفعال مظفر المطالب (٣) اخطر جعله في خطر (٤) يقال تعاور القوم فلانًا اذا تعاونوا عليه بالضرب واحدًا بعد واحد (٥) المنتهي عن الضلالة

ثم اذكِ عيونك (١) على عدوك متطلعاً لعلم احوالهم التي ينتقلون فيها ومنازلهم التي هم بها ومطامعهم التي مدوا بها اعناقهم نحوها . واي الامور ادعى لهم الى الصلح واقودها لرضاهم الى العافية ومن اي الوجوه ما اتاهم من قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب والابعاد والترغيب والاطماع مستنًا في امرك متخيراً في رويتك متمكناً من رأيك مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم (٢) الحروب متسرباً في حربك آخذاً بالحزم في سوء الظن معداً للحذر محترساً من الغرّة كأنك منزل كله ومنازلك جمع مواقف لعدوك رأي عين تنظر حملاتهم وتخوف غاراتهم معداً اقوى مكيدتك واجد تشميرك وارهب عتادك معظماً لامر عدوك لاكثرهما . . . بفرط تبعة له (؟) من الاحتراس عظيماً من المكيدة قوياً من غير ان يفشأك (٣) عن احكام امورك وتدبير رأيك واصدار رويتك والتأهب لحربك مصغ له بعد استشعار الحذر واطمئنان الحزم واعمال الروية واعداد الأهبة فان لقيت عدوك كليل الحد ونم النجوم (؟) نضيض الوفر لم يضررك ما اعددت له من قوة واخذت به من حزم ولم يزدك ذلك الا جرأة عليه وتسرعاً الى لقائه وان الفيته متوقد الجمر مستكشف التبع قوي الجمع مستعلي سورة الجهل معه من اعوان الفتنة وتبع ابليس من يوقد لهب الفتنة مسعراً و يتقدم الى لقاء ابطالها متسرعاً كنت لاخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط في الرأي ولا متلهف على اضاعة تدبير ولا محتاج الى الاعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك وخوفاً يقلقك ومتى تعزم على ترقيق التوقير وتأخذ بالهوينا في امر عدوك لتصغر المصغرين ينتشر عليك رأيك و يكون فيه انتقاض (٤) امرك ووهن تدبيرك واهمال الحزم في جندك وتضييع له وهو ممكن الاصحار رحب المطلب قوي العصمة فسيح المضطرب مع ما يدخل رعيتك من الاغترار والغفلة عن احكام اسرارهم وضبط مراكزهم لما يرون من استنامتك الى الغرة وركونك الى الامن وتهاونك بالتدبير فيعود ذلك عليك في انتشار الاطراف وضياع الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من اخبار عدوك واياك ومعاقبة احد منهم على خبر ان اتاك به اتهمته فيه او سوّت ظناً عليه واتاك غيره بخلافه وان تكذبه فيه وترده عليه ولعله ان يكون من محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الاول او خرج جاسوسك الاول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك . ولقد ابرموا امرا وحاولوا لك مكيدة وازدادوا منك غرة وان دفعوا اليك في الامر ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه

---

(١) العين الجاسوس واذكيها ايقظها (٢) نجذته التجارب احكمته (٣) يسكنك (٤) الانتقاض الانتكاث

جماعتهم فاوردوا رأياً واحدثوا مكيدة واظهروا قوة وضربوا موعداً وأموا مسلكا لعدد اتاهم او قوة حدثت لهم او بصيرة في ضلالة شغلتهم فالاحوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات ولكن البسهم (١) جميعاً على الانتصاح وأرجح لهم المطامع فانك لم تستعبدهم بمثله . وعدهم جزالة المثاوب في غير ما استنامة منك الى امر عدوك والاغترار بما لم يأتوك به دون ان تعمل رويتك في الاخذ بالحزم والاستكثار من العدة واجعلهم اوثق من يقدر عليه ان استطعت ذلك وآمن من تسكن الى ناحيته ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم دليلة عندك ان استطعت فتنقض عليهم بتدبيرك ورأيك مالم يرموا (٢) وتأتيهم من حيث اقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا

واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدرن منك فرطة في عقوبة الى احد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك وابسط من آمالهم فيك من غير ان ترى احداً منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت على رأيه عمل الصادر عنه او رددته عليه رد المكذب له والمتهم المستخف بما اتاك منه فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتر عداوته

احذر ان يُعرف جواسيسك في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به وسيحتال لك كاحتيالك له ويعدّ لك كاعتدادك له فاحذر ان يشعر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعدله المراصد ويحتال له بالمكايد فان ظفر به واظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا الى اخذها عن عُرض من غير الثقة ولا معاينة لغطائها (؟) بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة

واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لا تأمن تواطؤهم عليك ومالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وكذبك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك وأحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك وهو اول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وجنب (؟) رجاءك به نيل املك من عدوك وقوتك على قتالهم وانتهاز فرصته ان شاء الله فاذا احكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه فولّ شرطتك وامر عسكرك اوثق

(١) لابس فلاناً خالطه (٢) رمّ الشيء اصلحه

قوادك عندك وآمنهم نصيحة واقدمهم بصيرة في طاعتك واقواهم شكيمة في امرك وامضاهم صريمة واصدقهم عفافاً واجرأهم (جناناً) واكفاهم امانة واصحهم ضميراً وارضاهم صبراً واحمدهم خلقاً واعطفهم على جماعتهم رأفة واحسنهم لهم نظراً واشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض اليه مقوياً له وابسط من امله مظهراً عنه الرضا حامداً منه الابتلاء . وليكن عالماً ببراكز الجنود بصيراً بتقديم المنازل مجرباً ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة له نباهة في الذكر وصيت في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه في ضبط معسكرك واذكاء احراسه في آناء ليله ونهاره ثم حذره ان يكون له اذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم للطائفة فيصاب منهم غرة يجتريء بها عدوك ويسرع اقداماً عليك ويكسر من افئدة جنودك ويوهن من قوتهم فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم منك مقو لهم على شحذ اتباعهم عليك وتصغيرهم امرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكون منه افراط في التضييق عليهم والحصر لهم فيعمهم ازله ويشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشتد به المؤونة عليهم وتخبث له ظنونهم . وليكن (موضع) انزاله اياهم مستديراً ضاماً جامعاً ولا يكون منتشراً ممتداً فيشق ذلك على اصحاب الاحراس ويكون فيه النهزة للعدو والبعد من المادة ان طرق طارق في فجاآت الليل وبغتاته . واوعز اليه في أحراسه ومره فليولّ عليهم رجلا ركينا مجرباً جريء الاقدام ذكي الصرامة جلد الجوارح بصيراً بموضع أحراسه غير مضائع ولا مشفع للناس في التنحي الى الرفاهة والسعة وتقدم العسكر او التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالي ويوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم ان موضع الأحراس من موضعك ومكانها من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقا وارادهم نخاتلا ومراصدها المنسل منها الآبق من ارقائهم واعبدهم وحفظ العيون والجواسيس من عدوهم (؟) واحذر ان يضرب على يديه او يشكه على الصرامة لمواصرتك في كل امر حادث وطارق الا في الملم النازل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى تضجك واستوليت على محض ضميره في طاعتك واجهد نفسه في ترتيبك واغاثتك وكان ثقلك وزيدك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكايدة عدوك مريحا نفسك من همّ ذلك والعناية به ملق عنك مؤونة باهظة وساغة فادحة ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الاحكام ولا يمثله احد من الولاة لما يجري على يديه من مغالط الاحكام ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء بين اهل العسكر من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر

بوجوه القضايا ومواقعها قد حنكته السن وايدته التجربة واحكمته الامور ممن لا يتضع للولاية و يستعد للنهزة و يجتري على المحاباة في الحكم والمداهنة في القضاء عدل الامانة عفيف الطعمة حسن الانصات فهم القلب ورع الضمير متخشع السمت هادي الوقار محتسباً للخير ثم أجر عليه ما يكفيه و يسعه و يصلحه وفرّغه لما حملته وأعنه على ما وليته فانك قد عرضته لهلكة الدنيا وثواب الآخرة او شرف العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقت رويته وصحت سريرته وسلط حكم الله على رعيته منفذاً قضاءه في خلقه عاملاً بسنته في شرائعه آخذاً بحدوده وفرائضه

واعلم انه من جندك ومعسكرك بحيث ولا يتك وفي الموضع الجارية احكامه عليهم النافذة اقضيته بينهم فاعرف من توليه ذلك وتسنده اليه ان شاء الله

ثم تقدم في طلائعك فانها اول مكيدتك ورأس حربك ودعامة امرك فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالا ذوي نجدة و بأس وصرامة وخبرة وحماة كفاة قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشربوا من مرارة كؤوسها وتجرعوا غصص درتها وزبنتهم (١) بتكرارها وحملتهم على اصعب مراكبها ثم اتبعهم على عينك واعرض كراعهم (٢) بنفسك وتوخ في انتقالهم ظهور الجلد وسجاحة الخلق وجمال الآلة واياك ان تقبل من دوابهم الا اناث الخيول مهلوبة (٣) فانها اسرع طلباً وانجى مهرباً وابعد في اللحوق غاية واصبر في معترك الابطال اقداما ونجذهم من السلاح بابدان الدروع ماذية الحديد شاكة السنخ متقاربة الحلق متلاحمة المسامير واسوق الحديد مموهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندي وصوغها فارسي رقاق المعطف بأكف وافية وعمل محكم ويلق البيض مذهبة ومجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابغة الملبس وافية اللبن مستديرة الطبع مبهمة السرد وافية الوزن كتريك (٤) النعام في الصنعة معلمة بأصناف الحرير وألوان الصبغ فانها اهيب لعدوهم وافت لاعضاد (٥) من لقيهم والمعلم مختشي محذور له بديهة وادعة معهم السيوف الهندية وذكور البيض اليمانية رقاق الشفرات مسنونة الشحذ غير كليلة المشحذ مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر وافية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها امت الصوغ ولا شانها خفة الوزن ولا فدح حاملها بهور الثقل قد اشرعوا لدن القنا طوال الهوادي (٦) زرق الاسنة مستوية الثعالب وميضها متوقد وشحذها متلهب معاقص (٧) عقدها منحوتة ووصم اودها

«١» الزبن الدفع «٢» الكراع اسم يجمع الخيل «٣» المقطوعة الذنب «٤» التريكة البيضة بعد ان يخرج منها الفرخ او يخص بالنعام والجمع تراثك وتريك «٥» فت في ساعده اضعفه «٦» الهادي العنق والجمع هوادي «٧» المعقص كمنبر السهم المعوج وما ينكسر نصله

مقوم . اجناسها مختلفة . وكعوبها جعدة . وعقدها حنكة . شطبة الاسنان . محكمة الجلاء موهة الاطراف . مستحدة الجنبات دقاق الاطراف ليس فيها التواء اود . ولا امت وصم . ولا لها سقط عيب . ولا عنها وقوع أمنية مستحقب كنائن النبل وقسي الشوحط والنبع (١) اعرابية التعقيب رومية النصول فانها ابلغ في الغاية وانفذ في الدروع واشك في الحديد سامطين حقائبهم على متون خيولهم مستخفين من الآلة والامتعة الا ما لا غناء بهم عنه

واحذر ان تكل مباشرة عرضهم الى احد من اعوانك او كتابك فانك ان وكلته اليهم اضعت موضع الحزم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الحزم ودخل عملك ضياع الوهن وخلص اليك عيب المحاباة . وناله فساد المداهنة وغلب عليه من لا يصلح ان يكون طليعة للمسلمين . ولا عدة ولا حصناً يدّرؤن به ويكتنفون بموضعه

واعلم ان الطلائع عيون وحصون للمسلمين فهم اول مكيدتك وعروة امرك وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهمّ عملك ومكيدة حربك ثم انتخب لهم رجلا للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وايام طوال وصولات متقدمات قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته وتنكب لقاؤه امين السريرة ناصح الغيب قد بلوت منه ما يسكنك الى ناحيته من لين طباعه وخالص المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب مودتهم واستعداد (؟) ضمائرهم وأجر عليهم ارزاقا تسعهم وتمد من اطماعهم سوى ارزاقهم في العامة وفي ذلك من القوة لك عليهم والاستقامة الى ما قبلهم

واعلم انهم في اهمّ الاماكن لك واعظمها غناء عنك وعمن معك واقمعها كفار (؟) وأشجى لعدوك ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنصيحة حيث وصفت لك وامرتك به تضع عنك مؤونة الهمّ وترخي عن خناقك دروع الخوف وتلتجيء الى امر متين وظهر قويّ وامر حازم تأمن به فجأة عدوك ويصير اليك علم احوالهم ومتقدمات خيولهم فالتخبهم رأيّ عين وقومهم بما يصلحهم من المنالات والاطماع والارزاق واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علامتك « ؟ » وحصانة كهوفك وقوة سيارة عسكرك واياك ان تدخل فيهم احداً بشفاعة او تحتمله على هوادة (٢) او تقدمه منهم لأثرة وان يكون مع احد منهم بغل نقل او فضل من الظهر او ثقل فادح فيشتد عليهم مؤونة انفسهم ويدخلهم

فيبقى سخنه في السهم فيخرج ويضرب حتى يطول (١) الشوحط شجر تتخذ منه القسي او ضرب من النبع او هما والنبع مثله (٢) الهوادة اللين وما يرجى به الصلاح والرخصة

كلال السآمة فيما يعالجون من أثقالهم ويشتغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه رائع او فاجأهم لهم طليعة . فلفقد ذلك محكما له وتقدم فيه آخذاً بالحزم في امضائه ارشدك الله لاصابة الحظ ووفقك ليمن التدبير

ولِّ دراجة عسكرك واخراج اهله الى مصافهم ومراكزهم رجلا من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروف النجدة ذا سن وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون السريرة له بصيرة في الحق تقدمه رتبة صادقة عن الادهان (١) تحجزه واضمم اليه عدة من ثقات جندك وذوي أسنانهم يكونون شرطة معه ثم تقدم اليه في اخراج الصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وحفظ الاطراف وشدة الحذر ومره فليضع القواد بانفسهم مع اصحابهم في مصافهم كل قائد بازاء موضعه وحيث منزله قد شد ما بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة والتراس موضونة (٢) والرجال راصدة ذاكية الاحراس وجلة الروع خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره ان يخرج كل ليلة قائداً من اصحابه او عدة منهم ان كانوا كثيراً على غلوة او غلوتين من عسكرك محيطاً بمنزلك ذاكية احراسه قلقة التردد مفرطة الحذر معدة للروع متأهبة للقتال آخذة على اطراف العسكر ونواحيه متفرقين في اخلافهم كردوساً كردوساً (٣) يستقبل بعضهم بعضاً في الاختلاف ويكسع (٤) متقدماً في التردد فاجعل ذلك بين قوادك واهل عسكرك نوباً معروفة وحصصاً مفروضة لا يعد منه مزدلفاً بمودة ولا يتحامل على احد فيه بموجدة ان شاء الله .

فوض الى امراء جندك وقوادهم امور اصحابهم والاخذ على ايديهم رياضةً منك لهم على السمع والطاعة لامرائهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم الى امراء الاجناد في النوائب التي الزمتهم اياها والاعمال التي استنجدتهم لها والاسلحة والكراع التي كتبتها عليهم واخذر اعتلال احد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين جندك وتقويمهم لطاعتك وقمعهم عن الاخلال بما كرهم لشيء مما وكلوا به من اعمالهم فان ذلك مفسدة للجند معي للقواد عن الجد والمناصحة والتقدم في الاحكام .

واعلم ان استخفافهم بقوادهم وتضييعهم امرهم دخول الضياع على اعمالك واستخفاف بامرك الذي يأتمرون به ورأيك الذي ترتئي واوعز الى القواد ان لا يتقدم احد منهم على عقوبة احد من اصحابه الا عقوبة تأديب وتقويم ميل وتثقيف أود فاما عقوبة تبلغ تلف المهجة

---

(١) المداهنة والغش (٢) وضن الشيء يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفه ونضده (٣) كردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة والكردوسة بالضم قطعة عظيمة من الخيل والجمع كراديس (٤) كسعه كمنعه ضرب دبره بيده او بصدر قدمه

واقامة الحد في قطع او افراط في ضرب او اخذ مال او عقوبة في سفر فلا يلين ذلك من جندك احد غيرك او صاحب شرطتك بامرك وعن رأيك واذنك ومتى لم تذلل الجند لقوادهم وتضرعهم (١) لامرائهم يوجب عليك لهم الحجة بتضييع (؟) وان كان منهم لامرك خلل ان تهاونوا به من عملك او عجز ان فرط منهم في شيء وكلتهم اليه او اسندته اليهم ولم تجد الى الاقدام عليهم باللوم وعض العقوبة مجازاً تصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تذليل اصحابهم لهم وافسادك اياهم عليهم فانظر في ذلك نظراً محكماً وتقدم فيه تقدماً بليغاً . واياك ان يدخل حزمك وهن او عزمك امارا (؟) من رأيك ضياع . والله استودع ديناً في نفسك .

اذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر وكان من عسكرك مقترباً قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحماة فلنته فتأهب اهبة المناجزة وأعد اعداد الحذر وكتب خيولك وعب جنودك واياك والمسير الا مقدمة وميمنة وميسرة وساقة قد شهروا بالاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد اخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ملحين الى مواقفهم عارفين بمواضعهم من مسيرهم ومعسكرهم . وليكن ترجلهم وتنزلهم على راياتهم واعلامهم ومراكزهم . وعرف كل قائد واصحابه موقعهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لها غير مخلين بما استنجدتهم له ولا متهاونين بما اهبت بهم اليه حتى تكون عساكرهم في كل منهل تصل اليه ومسافة تختارها كأنه عسكر واحد في اجتماعها على العدة واخذها بالحزم ومسيرها على راياتها ونزولها على مراكزها ومعرفتها بمواضعها ان اضلت دابة موضعها عرف اهل العسكر من اي المراكز هي ومن صاحبها وفي اي المحل حلوله منها فردت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها . فان تقدمك في ذلك واحكامك له اطراح عن جندك مؤونة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة . ثم اجعل على ساقتك اوثق اهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذاً ورضا في العامة وانصافاً من نفسه للرعية واخذاً بالحق في المعدلة مستشعراً تقوى الله وطاعته آخذاً بهديك وادبك واقفاً عند امرك ونهيك معتزماً على مناصحتك وتزيينك نظيراً لك في الحال وشبيهاً بك في الشرف وعديلاً في المواضع ومقارباً في الصيت ثم اكشف معه الجمع وايده بالقوة وقوه بالظهر واعنه بالاموال واغمره بالسلاح ومره بالعطف على ذوي الضعف من جندك ومن رخفت به (٢) دابته واصابته نكبة من مرض او رجلة او آفة من غير ان تأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكره او التخلف بعد ترجله الا المجهود او المطروق بآفة ثم تقدم اليه محذراً ومره زاجراً وانهه مغلظاً بالشدة على من مرّ به منصرفاً عن معسكرك من جندك بغير

(١) تذللهم (٢) استرخت

جوارك شاداً لهم اسراً وموقرهم حديداً ومعاقبهم موجعاً او موجههم اليك فتنهكهم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة .

واعلم انه ان لم يكن بذلك الموضع من تسكن اليه واثقاً بنصيحته عارفاً ببصيرته قد بلوت منه امانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مباثته ونفاذاً في امرك يرخي عنك خناق الخوف سيء اضاعته لم آمن تسلل الجند عنك لواذاً (١) ورفضهم مراكزهم واخلالهم بمواضعهم وتخلفهم عن اعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اخترمه منهم ما ... ذلك في وهنك واخذ من قوتك وقلل من كثرتك .

اجعل خلف ساقتك رجلاً من وجوه قوادك جليداً ماضياً عفيفاً صارماً شهم الرأي شديد الحذر شكيم القوة غير مداهن في عقوبة ولا مهين في قوة في خمسين فارساً من خيلك تحشر اليك جندك ويلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ في عقوبتهم والنهك لهم والتنكيل بهم وليكن لعقوبتك في المنزل الذي ترتحل عنه والمنهل الذي تنقوض منه مفرطاً في النقض والتبع لمن تخلف عنك مشيداً في اهل المنهل وما كنه بالتقدم موعزاً اليهم في ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم من مكانهم وابعاد العقوبة الموجعة والنكال المنيل في الاشعار واصفاء الاموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحداً او ستر موضعه واخفى محله وحذره عقوبتك اياه في الترخيص لاحد والمحاباة لذي قرابة والاختصاص بذلك لذي أثرة او هوادة .

وليكن فرسانه منتخبين في القوة معروفين بالنجدة عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الخشو وحب الاستحثاث (؟) منقلدين سيوفهم سامطين كنائنهم مستعدين لهيج ان بدهم اوكين ان يظهر لهم واياك ان تقبل في دوابهم الا فرساً قوياً او برزوناً وثيجاً فان ذلك من اقوى القوة لهم واعون الظهير على عدوهم ان شاء الله .

ليكن رحيلك ابانا واحداً ووقتاً معلوماً تخفّ المؤونة بذلك على جندك ويعلموا اوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة اطعمتهم وأعلاف دوابهم وتسكن افئدتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ويطمئن ذوو (الحاجات) ابان الرحيل ومتى يكون رحيلك مخالفاً تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ويخلوا بمراكزهم ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالارجاف وينزلون بالتوهم حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة .

اياك ان تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى يأمر صاحب تعبيتك بالوقوف على معسكرك اخذاً بفوهة جنبتيه باسلحتهم عدةً لامران حضر ومفاجأة من طليعة للعدو ان اراد نهزة او لمحت عندكم غرة . ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجندك

(١) اللوذ بالشيء الاستتار والاحتضان به كاللواذ مثلثة واللياذ والملاوذة

واقية حتى اذا استقللتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبيتكم بسكون ريح وهدو وحملة وحسن دعة .

فاذا انتهيتم الى منهل اردت نزوله او هممت بالمعسكر به فاياك ونزوله الا بعد العلم بان تعرّف لك احواله او يسبر علم دفينه و يستبطن علم اموره ثم ينهيها اليك وما صارت اليه لتعلم كيف احتمال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وهل لك اذا اردت مقاماً به او مطاولة عدوك ومكايدته فيه قوة تحمالك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن ان يهجم على منزل يزعجك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع مواده ان اردت بعدوك مكيدة واحتجت من امرهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلا . وان اقمت به اقمت على مشقة حصر وفي ازل(١) وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه

فاذا اردت نزولا امرت صاحب الخيل التي رحلت الناس فوقفت منحية من معسكرك عُدةً لامر ان راعك ومفزعاً لبديهة ان راعتك قد امنت باذن الله وحوله فجأة عدوك وعرفت موقعها من حربك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الاثقال مواضعها و يأتيك خبر طلائعك وتخرج دباباتك (٢) من عسكرك دبابا محيطين بعسكرك وعدة لك ان احتجت اليهم . وليكن دباب جندك بعسكرك اهل جلد وقوة قائداً او اثنين او ثلاثة باصحابهم في كل ليلة و يوم نوباً بينهم فاذا غربت الشمس ووجب (٣) نورها اخرج اليهم صاحب تعبيتك أبدالهم عسساً بالليل في اقرب من مواضع دباب النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محاباة لاحد منهم فيه ولا ادهان ان شاء الله

اياك ان يكون منزلك الا في خندق او حصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه الى الحزم من مكيدته . اذا وضعت الاثقال وخططت ابنية اهل العسكر لم يمدخباؤك ولم ينتصب بناؤك حتى يقطع لكل قائد ذرع معلوم من الارض بقدر اصحابه فيحتفروه عليهم (و يبنون) بعد ذلك خنادق الحسك طارحين لها دون اشجار الرماح ونصب الترسة لها بابان قد وكلت بعد بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من اصحابه فاذا فرغ من الخندق كان ذلك القائدان اهلا لذلك المركز (ومو)ضع تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس لذينك الموضعين ندالى (؟) الرفاهة والسعة وتقدم العسكر او التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالي و يوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وامنه به على جيشه

---

(١) الازل الضيق والشدة (٢) الدّبابة مشددة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبون وهم في جوفها (٣) وجبت الشمس غابت

واعلم انك اذا امنت باذن الله طوارق عدوك و بغتاتهم فاذا راموا ذلك منك كنت قد احكمت ذلك واخذت بالجد فيه وتقدمت فى الاعداد له و رتقت مخوف الفتق منه ان شاء الله

اذا ابتليت ببيات عدوك او طرقك رائعاً في ... حذراً معداً مشمراً عن ساقك مسرباً لحربك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ماوصفت لك .. التي قدرت لك وطلائعك حيث امرتك وجندك حيث عبأت قد خطرت عليهم بنفسك وتقدم الى جندك ان (طرق) طارق او فاجأهم عدو الا يتكلم احد منهم رافعاً صوته بالتكبير مستغفرا (؟) في اجلاب معلما للارهاب الا اهل الناحية (التي) يقع بها العدو طارقاً وليشرعوا رماحهم مادين لها في وجوههم و يرشقهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمراكزهم .. قدم عن موضعها ولامنحازين الى غير مركزهم وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون .. عدوك من معسكرهم فتمد اهل تلك الناحية بالرجال من اعوانك وشرطك ومن انتخبت قبل ذلك عدة للشدائد وتدس لهم النشاب والرماح واياك ان يشهروا سيفاً يتجالدون به وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم بالليل في تلك المواضع من طرقهم الا بالرماح مسندين لها الى صدورهم والنشاب راشقين به وجوههم قد ألبدوا بالترسة واستجنوا بالبيض والقوا عليهم سوابغ الدروع وحباب الحشو فان صد العدو عنهم حاملين على ناحية اخرى كبر اهل تلك الناحية الاولى و بقية العسكر سكوت والناحية التي صدر عنها العدو لازمة لمراكزها فعلت في تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك باخوانهم واياك وان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعراً لها وأوقدها حطباً جزلا يعرف بها اهل العسكر مكانك وموضع رواقك و يسكن نافر قلوبهم و يقوى واهن قوتهم و يشتد منخذل ظهورهم ولا يرجفون فيك بالظنون ويحيلون لك آراء السوء وذلك من فعلك رد عدوك بغيظه ولم يستقل منك بظفر ولم يبلغ من نكايتك سروراً ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه او كانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة قدرت ان تركب بهم اكتافهم وتحملهم على سننهم فأتبعهم جريد خيل عليها الثقات من فرسانك واولو النجدة من حماتك فانك ترهق عدوك وقد أمن بياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك والاخذ بابواب معسكره والضبط لمحارسه موهنة حماتهم لغبة (١) ابطالهم لما انوكم عليه من التشمير والجد قد عقر الله فيهم واصاب منهم وجرح من مقاتلتهم و كسر من اماني ضلالتهم ورد من مستعلي جماحهم . وتقدم الى من توجه

(١) لغب اعيا اشد الاعياء

في طلبهم وتتبعه (ان يكونوا و) هم في سكون الريح وقلة الرفث وكثرة التسبيح والتهليل واستنصار الله عز وجل بقلوبهم والسنتهم سرا وجهراً بلا لجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون ان يردوا على مطلبهم وينتهزوا فرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فان لها هيبة رائعة و بديهة مخوفة لا يقوم لها في بهمة الليل الا البطل المحارب وذو البصيرة المحامي المستميت المقاتل وقليل ماهم عند تلك المواضع ان شاء الله

ليكن اول مانقدم به في التهيوء لعدوك والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكرك وحماة جندك ذوي البأس والحنكة والجد والصرامة ممن قد (اعتا) دطراد الكماة وكشر عن ناجذه في الحرب وقام على ساق في منازلة الاقران ثقف الفراسة مستجمع القوة مستحصد المريرة صبوراً على اهوال الليل عارفاً بمناهز الفرص لم تهنه الحنكة ضعفاً ولا ابلغت به السن ملالاً ولا اسكرته غرة الحداثة جهلا ولا ابطرته نجدة الاغمار صلفا جريئاً على مخاطرة التلف متقدماً على ادراع الموت مكابراً لمرهوب الهول منقحماً مخشي الحتوف خائضاً غمرات المهالك برأي يؤيده الحزم ونية لايخالجها الشك واهواء مجتمعة وقلوب موقنة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل اهلها من التأييد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأي عين على كراعهم واسلحتهم ولتكن دوابهم اناث عتاق الخيول واسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب منقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والمتخيرة من معادن الاجناس هندية الحديد او بدنية يمانية الطبع رقاق المضارب مستوية الشحذ مشطبة الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية التعقيب معلمة المقابض بحلق الحديد اتحاؤها مربدة محارزها بالتجليد مضاعفة ومحملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي قداستحقبوها وقسي الشريان والنبع اعرابية الصنعة مختلفة الاجناس محكمة العمل ونصول النبل مسمومة وتركيبها عراقي وترييشها بدوي مختلفة الصوغ في الطبع شتى الاعمال في التشطيب والاستزادة ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض منبسطة السنة سهلة الانعطاف مقربة الانحناء ممكنة المرمى واسعة الاسهم فرضها سهلة الورود معاطفها غير معنون (؟) المواتاة

ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من اهل خاصتك وثقاتك ونصائحك وتقدم اليهم في ضبطهم وكفهم .. واستنزل نصائحهم واستعداد طاعتهم واستخلاص ضمائرهم وتعهد كراعهم واسلحتهم معفياً لهم من النوائب التي تلزم اهل العسكر وعامة جندك ثم اجعلهم عدة لامران فاجأك او طارق بيتك . وامرهم ان يكونوا على اهبة معدة وحذرهم فانك لاتدري اي الساعات من ليلك ونهارك تكون اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في التشهير والتردف وسرعة الاجابة فانك عسيت ان لاتجد عند جماعة جندك مثل تلك الروعة

والمباغتة ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معدة بل ذلك كذلك فاذكرها ولى الذن لبحث (؟) عدتك وقوتك تقويا قدقطعتها على القواد الذين وليتهم امورهم فسميت اولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت فيما يبدهك ويطرقك لبعث واحد كان معدا لم تحتج فيه الى امتحانهم في ساعتهم تلك وقطع البعث عليهم عند ما يرهقك وان احتجت الى اثنين وثلاث وجبت منهم ارادتك ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلاً امينًا صالحًا ذا ورع حاجز ودين فاضل واجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها وترحلها مع خزائنك وتقدم اليه في حفظها والتوفر عليها واتهام من يستولي على شيء منها على اضاعته والتهاون به والشدة على من دنا منها في مسير اوضامها في منزل . وليكن عامة الجند والجيش الا من استصلحت للسير معها منحيين عنها مجانبين لها فانه ربما كانت الجولة وحدثت الفزعة فان لم يكن للخزائن من يوكل بها اهل حفظ لها وذب عنها اسرع الجند اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهم الى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فان اهل الفتن وسوء السيرة كثير وانما همتهم الشر فاياك وان يكون لاحد في خزائنك ودواوينك وبيوت اموالك مطمع او يجدوا الى اغتيالها ومرتها (؟) ان شاء الله .

اعلم ان احسن مكيدتك اثرًا في العامة وابعدها صوتًا في حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحسن الروية وحزم التدبير ولطف الحيلة فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على اصابته لا بالقتال واخطار التلف . وادسس الى عدوك وكاتب رؤوسهم وقادتهم وعدهم المنالات ومنهم الولايات وسوغهم التراب وضع عنهم الاحن واقطع عنهم اعناقهم بالمطامع واملأ قلوبهم بالترهيب وان امكنتك منهم الدوائر وأصار بهم اليك الرواجع وادعهم الى الوثوب بصاحبهم او اعتزاله ان لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتبًا كأنها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على السنتهم كتبًا اليك يدفعها اليهم ويحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده منزلة التهمة فلعل مكيدتك في ذلك ان يكون فيها افتراق كلمتهم وتشتيت جماعتهم واحش قلوبهم سوء الظن من واليهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على انفسهم اذا ايقنوا بانها مناياهم فان بسط يده بقتلهم واولغ في دمائهم سيفه واسرع في الوثوب بهم اشعرهم جميعًا الخوف وشملهم الرعب ودعاهم اليك الهرب وتهافتوا نحوك بالنصيحة وان كان متأنيًا محتملاً رجوت ان تستميل اليك بعضهم وتستدعي بالطمع ذوي الشر منهم وتنال بذلك ما تحب من اخبارهم ان شاء الله .

اذا تدانى الصفان وتوافف الجمعان واحتضرت الحرب فعبأت اصحابك لقتال عدوهم فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله والتفويض اليه ومسألته توفيقك

وارشادك وان يعزم لك على الرشد والعصمة الكالئة والحيطة الشاملة .

ومر جندك بالصمت وقلة التلفت الى المشار له وكثرة التكبير في انفسهم والتسبيح بضمائرهم والا يظهروا تكبيراً الا في الكرات والحملات وعند كل زلقة يزدلقونها فاماموهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن . وليكثروا من لاحول ولا قوة الا بالله حسبنا الله ونعم الوكيل . اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي واكفنا شوكته المستحدة وايدنا بملائكتك الغالبين واعصمنا بعونك من الفشل والعجز انك ارحم الراحمين .

وليكن في عسكرك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ويذكرونهم الجنة ورخاء اهلها وسكانها ويقولون اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم . وان استطعت ان تكون انت المباشر لتعبية جندك ووضعهم من راياتك ومعك رجال من ثقات فرسانك ذوو سن وتجربة ونجدة على التعبية وامير المؤمنين واصفها لك في اخر كتابه هذا ان شاء الله ايدك الله بالنصر وغلب لك على القوة واعانك على الرشد وعصمك من الزيغ واوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ومن الرسائل المفردات في الشطرنج رسالة عبد الحميد

اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبله وايضاح معالمه باظهار فرائضه وبعث رسله الى خلقه دلالة لهم على ربوبيته واحتجاجاً عليهم برسالاته ومقدماً اليهم بانذاره ووعيده ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه وقفى به رسله وابتعثه لاحياء دينه الدارس مرتضياً له على حين انطمست له الاعلام مختفية وتشتت السبل متفرقة وعفت آثار الدين دارسة وسطع رهج الفتن واعتلى قتام الظلم واستنهد (١) الشرك واسدف (٢) الكفر وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق واستطرق الجور واستنكح (٣) الصدوف عن الحق واقطر (٤) سلهب (٥) الفتنة واستضرم لقاحها وطبقت الارض ظلمة كفر وغيابة فساد فصدع بالحق مأموراً وبلغ الرسالة معصوماً ونصح الاسلام واهله دالاً لهم على المراشد وقائداً لهم الى الهداية ومنيراً لهم اعلام الحق ضاحية مرشداً لهم الى استفتاح باب الرحمة واعلان عروة النجاة موضحاً لهم سبل الغواية زاجراً لهم عن طريق الضلالة محذراً لهم الهلكة موعزاً اليهم في التقدمة ضارباً لهم

(١) نهد الرجل نهض ولعدوه صمد له والمناهدة المناهضة في الحرب (٢) اسدف اظلم (٣) يقال نكح النعاس عينه غلبها (٤) اقطر اشتد (٥) السلهب الطويل من الرجال ومن الخيل ما عظم وكاد

الحدود على ما ينقون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويظنون صابراً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لهم بالترغيب والترهيب حريصاً عليهم متحنناً على كافتهم عزيزاً عليه عنتهم رؤوفاً بهم رحيماً تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً مشفقاً اميناً مأموناً قد بلغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله واذل الشرك واهله وانجز الله له وعده واراه صدق اسبابه في اكماله للمسلمين دينه واستقامة سننه فيهم وظهور شرائعه عليهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومفظعات الذنوب ومهبطات الاوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهويهم به الغوايات واوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وطرق الهدى وابواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحاً ولا مبتغ في ارشادهم غنما

فكان مما قدم اليهم فيه نهيه واعلمهم سوء عاقبته وحذرهم اضراره واوعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الاثم وموبق الوزر مع مشغلتها عن طلب المعاش واضرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين. وقد بلغ امير المؤمنين ان ناساً ممن قبلك من اهل الاسلام قد اهجم الشيطان بها وجمعهم عليها وألف بينهم فيها فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى امسائهم ملهية لهم عن الصلوات شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع اعمالهم مع مداعبتهم فيها وسوء لفظهم عليها وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس غير منكر ولا معيب ولا مستفظع عند اهل الفقه وذوي الورع والاديان والاسنان منهم فاكبر امير المؤمنين ذلك واعظمه وكرهه واستكبره وعلم ان الشيطان عند ما يئس منه من بلوغ ارادته في معاصي الله عز وجل بصر المسلمين وبجمعهم صراحاً وجهاراً أقدم بهم على شبهة مهلكة وزين لهم ورطة موبقة وغرهم بكيدة حيله ارادة لاستهوائهم بالخدع واجتيالهم (١) بالشبه والمراصد الخفية المشكلة وكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستحلاً لها مشيداً بها مظهراً لارتكابه اياها غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ولا خائف مكروهاً فيها ولا رعب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه المنية فتختلجه وهو مصرٌّ عليها غير تائب الى الله منها ولا مستغفر من ارتكابه اياها فكم قد اقام على موبقات الآثام وكبائر الذنوب حتى مد به مخرم ايامه.

وقد احب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم

(١) اجتالهم حوّلهم عن طريق قصدهم

ما في اعناقهم عليها ومالهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فآذن (١) بذلك فيهم وأشده في اسواقهم وجميع انديتهم واوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك في انهاك العقوبة لمن رفع اليه من اهل الاعتكاف عليها والاظهار للعب بها واطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين واعلمهم عما نهجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع امير المؤمنين ورأيه ولا يجدن احد عندك هوادة في التقصير في حق الله عز وجل والتعدي لاحكامه فتحمل بنفسك ما يسوءك عاقبة مغبته وتتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام .

وله تحميد في ابي العلاء الحروري :

الحمد لله الناصر لدينه واوليائه وخلفائه المظهر للحق واهله والمذل لاعدائه واهل البدعة والضلالة الذي لم يجمع بين حق وباطل واهل طاعة ومعصية الا جعل النصرة والفلج والعاقبة لاهل حقه وطاعته وجعل الخزي والذلة والصغار على اهل الباطل والخلاف والمعصية حمداً ينقبله ويرضاه ويوجب به لامير المؤمنين واهل طاعته الزيادة التي وعد من شكره . والحمد لله على ما يتولى من اعزاز امير المؤمنين ونصره وافلاجه واظهار حقه على ما وقع باعدائه واهل معصيته والخلاف عليه من سطواته ونقماته وبأسه فيما ولي امير المؤمنين من موالاة من والاه وعداوة من بغى عليه وعاداه لا يكله في شيء من الامور الى نفسه ولا الى حوله وقوته ومكيدته فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به .

تحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العلي مكانه المنير برهانه العزيز سلطانه الثابتة كلماته الشافية آياته النافذ قضاؤه الصادق وعده الذي قدر على خلقه بملكه وعز في سماواته بعظمته ودبر الامور بعلمه وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه مبتدعاً لها بانشائه اياها وقدرته عليها واستصغاره عظيمها نافذاً ارادته فيها لا تجري الا على تقديره ولا تنتهي الا الى تأجيله ولا تقع الا على سبق من حتمه كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه لا معدل لها عنه ولا سبيل لها غيره ولا علم احد بخفاياها ومعادها الا هو فانه يقول في كتابه الصادق وعنده مفاتح الغيب الى آخر الآية .

ولعبد الحميد في فتح يعظم فيه امر الاسلام

اما بعد فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام ديناً رضي شرائعه وبين احكامه ونور هداه

(١) آذنه الامر وبه اعلمه

ثم كنفه بالعز المؤيد وايده بالظفر القاهر وآزره بالسعادة المتجبة وجعل من قام به داعيا اليه من جنده الغالبين وانصاره المسلطين كلما قهر بهم مناوئا او رشهم رباعهم المأهولة واموالهم المثرية ودارهم الفسيحة ودولتهم المطولة امرا حتمه على نفسه ثم جعل من عاندهم وابتغى غير سبيلهم مسلماً قد استهوته ذلة الكفر بظلمها وحيرة الجهالة بحوارها وتيه الشقاء بغاويه وكلما ازدادوا لدعوة الحق اباء ازداد الحق اليهم ازدلافا وعليهم عكوفا وفيهم اقامة الى ان يحل بهم عز الغلبة ونجاة المتجاوز داعين فيما شوقهم اليه محافظين على ما ندبهم له قد بذلوا في طاعة الله دماءهم وقبلوا المعروض عليهم في مبايعة ربهم لهم بانفسهم الجنة محمود صبرهم مسهل بهم عزمهم الى خير الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذي اكرم محمداً صلى الله عليه بما حفظ له من امور امته ان اختار لمواريث نبوته ما اصار الى امير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به وشيج عليه ومنافسة فيه ان فعل وفعل (؟)

والحمد لله الذي تمم وعده لرسوله وخليفته في امة نبيه مسدداً له فيما اعتزم عليه . والحمد لله المعز لدينه المتولي نصر امة نبيه التخلي عمن عاداهم وناواهم حمداً يزيد به من رضي شكره وحمداً يعلو حمد الحامدين من اوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف وجلت ايادية فلا تحصى الذي حملنا ما لا قوة بنا على شكره الا بعونه وبالله يستعين امير المؤمنين على ذلك واليه يرغب انه على كل شيء قدير .

ولعبد الحميد ايضاً

اما بعد فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وارتضاه ديناً لملائكته واهل طاعته من عباده وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه واكرمهم وفضلهم وجعلهم بما انعم عليهم منه اولياءه المقربين وحزبه الغالبين وجنده المنصورين وتوكل لهم بالظهور والفلج وقضى لهم بالعلو والتمكين وجعل من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره اعداءه الاقلين واولياء الشيطان الاخسرين واهل الضلالة الاسفلين مع ماعليهم في دنياهم من الذل والصغار . فاعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام الى مااعد لهم في آخرتهم من الخزي والهوان المقيم والعذاب الاليم انه عزيز ذو انتقام

وكتب عبد الحميد الى اخ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان

اما بعد فان مما اتعرف من مواهب الله نعمة خصصت بمزيتها وأصفيت بخصيصتها كانت أسرّ لي من هبة الله لي ولداً سميته فلاناً واملت ببقائه بعدي حياة وذكرى وحسن خلافة في حرمتي واشراكه اياي في دعائه شافعاً لي الى ربه عند خلواته في صلاته وحجه

وكل موطن من مواطن طاعته فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي وظهر به سروري وتعطفت عليه مني أنسة الولد وتولت عني به وحشة الوحدة فانا به جذل في مغيبي ومشهدي أحاول مس جسده بيدي في الظلم وتارة اعانقه وارشفه ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرني به واهبه لي على حين حاجتي فشد به أزري وحملني من شكره فيه ما قد آدني بثقل حمل النعم السالفة اليّ به المقرونة سراؤها في العجب تارات ما يدركني به من رقة الشفقة عليه مخافة مجاذبة المنايا اياه ووجلاً من عواصف الايام عليه

فاسأل الله الذي امتن علينا بحسن صنعه في الارحام تأديبه بالزكاء وحرسه بالعافية ان يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره وان يجعل ما يهب لنا من سلامته والمدة في عمره موصولا بالزيادة مقروناً بالعافية محوطا من المكروه فانه المنان بالمواهب والواهب للمنى لاشريك له . حملني على الكتاب اليك لعلم ما سررت به علمي بجمالك فيه وشركتك اياي في كل نعمة اسداها اليّ ولي النعم واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جل ذكره والسلام عليك

وكتب عبد الحميد عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة:

فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه وبلائه عنده في ولده واهل لحمته والخاص من اموره والعام والجنود والقواصي والثغور والدهماء من المسلمين على مالم يزل ولي النعم يتولاه من امير المؤمنين حافظا له فيه ومكرما له بالحياطة لما الهمه الله فيه من امر رعيته وعلى اعظم واحسن واكمل ما كان يحوطه فيه ويذب له عنه والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . احب امير المؤمنين لعلمه بسرورك به ان يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه وتشكره به فان الشكر من الله باحسن المواضع واعظم المنازل فازدد منه تزدد به وحافظ عليه وتحفظ به وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم فاقرىء على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ليسر به جندك ورعيتك ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباده من سلامة امير المؤمنين في بدنه ورأفته بهم واعتنائه بامورهم فان زيادة الله تعلو شكر الشاكرين والسلام

ولعبد الحميد الى مروان في حاجة

ان الله بنعمته عليّ لما رزقني المنزلة من امير المؤمنين جعل معها شكرها مقروناً بها فهي تنمى بالزيادة والشكر مصاحب لها فليست تدخلني وحشة من ابناء حاجتي وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغناني عن استزادته ولكني تكنفني مؤن استنفضت مافي يدي وكنت للخلف من الله منتظراً فاني انما انقلب في نعمه واتمرغ في فوائده واعتصم بسالف معروفه كان عندي

ولعبد الحميد في وصف الاخاء

فان اولى ما اعتزم عليه ذوو الاخاء وتواصل اليه اهل المودات ما دعا اسبابه صدق التقوى وبنيت دعائمه على اساس البر ثم انهد الينا حزين (؟) التواصل وشيده مستعذب العشرة فادعم قويا وصفى مرتقا وبخاصه (؟) الحقة منعطفة وسكنت به القلوب انيسة وسمت من مواصلته الهمم مستعلية عن كل زائغ معتاف ومخوف عارض يحترم مسكة الاخاء ويختار مرتوب الملقة ضنا بما استعذبوا من محمود ثائقه وازديادا فيما تعلقوا به من حلاوة جناه فاذا استحكم لهم مدخور الصفاء بثبات اواخيه وظهور أعلامه ومحصول مخبره وثقة مواده كان سرورهم باعتلاقه وابتهاجهم بوجدانه وانما هم صلته وبذلهم رعايته وحياطتهم محمودة بحيث نالوا من معرفته حظوته واستولوا عليه من مزية كرمه وتعرفوا من ذخيرة عائدته ومأمون حفاظه وكشف لهم عن نفسه مظهرا اعلامه مبديا دفينته طارحا قناع سره معلنا مكنون ضميره في نأي الدار وجدان (؟) المجتمع باظهار ما استتر من المحاسن وبث في الحقب من المكارم قياما لهم بالنصرة وحياطا للمودة وترغيبا في العشرة فكان اكهف لجاء واحرز حصن واحصف جنة واعون ظهير وابق ذخيرة واعظم فائدة واشرف كنز وافخر صنيعة وآنق منظر وابنع زهرة اكثر الاشياء ريعا وانماها وُصلا وامدها سببا واقواها ايدا واحلاها ذوقا وادعمها ثباتا وارساها ركنا لا يدخل مستحقها سآمة ملال ولا كلال مهنة ولا تثبيط ونية ولا ضعف خور لنزول بائقة او طروق طارقة من عوارض الاقدار وحوادث الزمان بل مواسيا في ازمهامتورطا غمرات قحمها (١) متدرعا هائل بوائقها مستلحما (٢) نواظر مقاطعها حتى تصير به الاقدار الى تناهيها ويبلغ به القضاء مقداره غير منان النصرة ولا برم التعب يرى تعبه غنما ونصبه دعة وكلفه فائدة وعمله مقصرا وسعيه مفرطا واجتهاده مضيعا عدل الولد في بره والوالد في شفقته والاخ في نصرته والجار في حفظه والذخر في ملكه فاين المعدل عن مثله او كيف الاصابة لشبهه او أنى عوض من فقده جمعنا الله واياك على طاعته والفنا بمحابه وجعل اخواننا في ذاته

قد حددت لك اي اخي الاخاء متشعبا ووصفته لك مخلصا وانتهيت بك الى غاية اهل العقل منه وما تواصل اهل الرأي عليه ودعا اليه الاخاء من نفسه منتطقا به ضامنا له ما فرط في ذلك تقصير من اهله وداخله تضييع من حملته او حاطه احكام وكنفه حفاظ من رعاته .

---

(١) القحمة بضم القاف الاقتحام في الشيء والمهلكة

(٢) استلحم مجهولا روهق في القتال

وافاني كتابك بماسألت من ذلك وعقلي معصور ورأيي منقسم وذهني فيما يتأهب به الامير ... والله من خزر الترك واختلاف رسله الى جبال اللان والطبران وما والاها بنوافذ امره ومخارج رأيه فانا مصيخ السمع لافظه عقل العقل عن سوى امره محتضر الذهن في تدبيرهم ذهل القلب عن تفنين القول وتشعيب الكلام في تصنيف طبقات الرجال ومن اين دخل عليهم نقص الاخاء وكيف خانهم مونق الصفاء وقد صرحت لك عن رأي ذوي الصفاء وكشفت لك خباء الاخاء وجمعت لك الف مودة اهل الحجى فنلق ما وصفت لك بقلب فهم عقول ذي ميزة يقظان وذهن جامع حافظ ذي ثقافة راع. احضرك الله عصمة التوفيق وسددك الله لاصابة الرشد ومكن لك صدق العزيمة والسلام.

ومن رسائل عبد الحميد ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه (١)

ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من اذيته وقرينته متاعاً مده الى اجل مسمى فلما قبضت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم اعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها النفس منها في المنقلب وارجح في الميزان واسنى في العوض فالحمد لله وانا اليه راجعون.

وكتب موصياً بشخص يقول:

حق موصل كتابي اليك كحقه عليّ اذ جعلك موضعاً لامله ورآني اهلاً لحاجته وقد انجزت حاجته فصدق امله.

وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة:

حتى اعتراني حنادس جهاله ومهاوي سبل ضلاله ذللاً لسباقه وسلماً في قياده الى نزل من حميم وتصلية جحيم سوى ما انتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحسك وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهرة للمسلمين بالمخالفة الى ان اصبح بفلاة قفرونية صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك الله يفعل بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون.

وكتب من رسالة اخرى الى اهله وهو منهزم مع مروان:

اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالمكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها وقد كانت اذاقتنا افاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وخشن لينها فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة. وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً فان تتم البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح

(١) هذه الرسائل الاربع منقولة عن شرح رسالة ابن زيدون

من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شرجار . نسأل الله الذي يعز من يشاء و يذل من يشاء ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وارحم الراحمين .

وله من رسالة (١) كتب بها عن آخر خلفاء بني امية وهو مروان الجعدي لفرق العرب حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية .

فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة العجمية واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة وتصحو من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين

(١) اوردها صاحب كتاب عنوان المرقصات والمطربات .

رسالة عبد الحميد الى الكتاب (١)

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين اصنافاً (٢) وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم (٣) وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروآت (٤) والعلم والرزانة بكم تنتظم الخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم (٥) لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كافٍ الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون والسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون مليحاً في موضع الحلم فهماً (٦) في موضع الحكم (٧) مقداماً في موضع الاقدام محجاماً (٨) في موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم (٩) يحكمه اخذ منه بمقدار (١٠) من الحسن واحتال على صرفه (١١) عما يهواه من القبيح (١٢) بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت جموحاً (١٣) لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوباً اتقاها من بين ايديها (١٤) وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها يسيراً فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل (١٥) لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم (١٦) وداخلهم والكاتب بفضل (١٧) ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره

---

(١) عارضنا هذه الرسالة التي اخذناها عن مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطتين من المقدمة احداهما في مكتبة احمد زكي بك والثانية في خزانة كتب احمد تيمور بك (٢) نسخة : اضيافا (٣) خ في معايشهم (٤) خ المروءة (٥) خ بلادهم (٦) خ فهماً (٧) خ الفهم (٨) خ محجماً (٩) خ فان لم (١٠) خ مقدار (١١) خ لصرفه (١٢) خ من القبيح (١٣) خ رموحاً (١٤) خ من قبل يديها (١٥) خ دليل (١٦) خ وخدمهم (١٧) خ لفضل

من الناس و يناظره و يفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها .

الا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة و يصير منكم الى الموافقة وتصيرون منه الى المؤاخاة والتفقة ان شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه و بنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حاله فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر و يذلان الرقاب و يفضحان اهلهما ولا سيما الكتاب وارباب الآداب . وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة . واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ عمله ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل (١) عن اكثاره . وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرّض بظنه (٢) او مقالته (٣) الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف . ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعبء ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته مايرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل امر عدته وعتاده وبهيء لكل وجه هيئته وعادته . فتنافسوا يامعشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ماتسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب

(١) خ للتشاغل (٢) خ بحسن ظنه (٣) خ فعاله

ونزهوا صناعتكم عن الدناءة (١) وارأفوا بانفسكم عن السعاية والنميمة ومافيه اصل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق لاهل (٢) الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احداً (٣) منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها (٤) الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لها . فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره (٥) ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ما هو جزاء لحقه ويصدق (٦) ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت التسمية هذه من (٧) وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة . واذا ولي الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب (٨) الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله .

ثم ليكن بالعدل حاكماً وللاشراف مكرماً وللفيء موفراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن اذاهم متخلفاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجه واستقضاء (٩) حقوقه رفيقاً واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته . فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رئي بالعجب وراء ظهره ورأى ان صاحبه اعقل منه واجمل (١٠) في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر (١١) على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره .

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزه والتحدث بنعمته . وانا اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب

---

(١) خ الدناءات (٢) خ باهل (٣) خ احدكم الكبر (٤) خ يضفها (٥) خ وصبره (٦) خ ويقصد ذلك بفعاله (٧) خ لمن (٨) خ فليراقب ربه (٩) خ استقصاء (١٠) خ احمد (١١) خ ولا تكاثر على

وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل ذلك جماله آخره وثمته به . تولانا الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق عليه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

''